المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة طيبة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم العلوم الاجتماعية
شعبة التاريخ ـ تاريخ حديث

جامعة طيبة
TAIBAH UNIVERSITY

(معركة وادي الصفراء " الخيف " ١٢٢٦هـ/١٨١١م)

أسبابها – أحداثها – نتائجها

رسالة مكملة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث

اعداد الطالب

محمد إبراهيم الغامدي

المشرف العلمي
د٠علي الحازمي

أستاذ/ التاريخ الحديث والمعاصر

المدينة المنورة ١٤٣٥هـ /٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

الأهداء

أهدي هذا المجهود المتواضع إلى من وضعا قدمي على بداية طريق العلم والدي تغمده الله بواسع رحمته، ووالدتي الحبيبة حفظها الله، وإلى من ظل يحفزني دائماً لاستكمال مشواري العلمي أخي تغمده الله بواسع رحمته.

كما أهدي هذا العمل إلى أسرتي أطال الله أعمار أحبتي جميعاً.

الباحث

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد..

أنعم الله سبحانه وتعالى على شبه جزيرة العربية بظهور دعوة التوحيد والإصلاح التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب تغمده الله بواسع رحمته فقام بنشرها بمساندة آل سعود، مما أدى إلى ظهور صحوة فكرية وعلمية في كل ارجاء شبه الجزيرة العربية.

وحينما أصبح للدولة السعودية الأولى كيان وحدود مهمة أثار ذلك الدولة العثمانية التي كانت تسيطر على المنطقة بأسرها منذ القرن التاسع الهجري / أواخر القرن الخامس عشر الميلاد ، فسعت من أجل إيقاف الدولة السعودية الأولى ودعوتها الإصلاحية وإنهاء وجودها بإرسال الحملات المتواصلة للقضاء عليها عن طريق ولاتها في مصر وغيرها.

أما الخطة العلمية المتبعة في اعداد هذه الرسالة فقد شملت في تقسيم الدراسة إلى تمهيد وثلاثة فصول ، التمهيد ويشمل العلاقة بين السعوديين والعثمانيين قبيل المعركة، والفصل الأول خصص للحديث عن أسباب المعركة: ومنها الأسباب الدينية، والأسباب السياسية، والأسباب الاقتصادية.

الفصل الثاني خصص للحديث عن أحداث المعركة: منها الخطة العسكرية للجيشين، وموقع المعركة، وسير المعركة.

الفصل الثالث خصص للحديث عن معركة وادي الصفراء في ميزان التاريخ: ونتائجها وأسباب نصر الجيش السعودي، وهزيمة جيش محمد علي، ونظرة المؤرخين للمعركة.

تضمنت الخاتمة النتائج التي توصلت إليها الدراسة ، والتوصيات التي توصل إليها الباحث لزيادة الفائدة العلمية وإثراء تاريخنا العظيم .

كما ألحقت بالدراسة ملحقين : الأول للخرائط والثاني للصور والوثائق..

والله أسأل أن أكون قد وفقت في إعداد هذا البحث وإبراز الحقائق بصورة تتناسب مع أهمية تلك الحقبة التاريخية وإثراء المكتبة السعودية بما ينفع تاريخنا الحديث وأسأل الله أن يلهمني الصواب والله على كل شيء قدير وما توفيقي إلا بالله.

خطة البحث

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل خلق الله الصادق الأمين، الهادي إلى الطريق القويم، سيدنا محمد بن عبدالله وآله و صحبه وبعد:

قيض الله شبه الجزيرة العربية دولة حملت لواء الجهاد والتوحيد فيها، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، ونهاية النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي، حيث قامت الدولة السعودية الأولى بعد اتفاق الدرعية (١١٥٧هـ/١٧٤٤م)[١] فوحدت نجداً وضمت الأحساء، فكان وصولها إلى هناك بداية الاحتكاك مع الدولة العثمانية عن طريق واليها على العراق و واليها على الشام .

ثم استمرت في تجييش الجيوش ضد الدولة السعودية لمحاربتها وإسقاطها، وكان من أهم ما قامت به الدولة العثمانية أنها أمرت واليها على مصر محمد علي باشا[٢] بمحاربة الدولة السعودية، فقام بإرسال الحملات لإسقاطها، والتي كان بينها حملة طوسون باشا سنة (١٢٢٦هـ/١٨١١م) التي جرت أحداثها في ممر وادي الصفراء سنة (١٢٢٦هـ/١٨١١م) "الخيف"[٣]. ونظراً لكون هذه المعركة كانت حدثاً عسكرياً بارزاً في تاريخ الصراع العسكري السعودي العثماني، آثرتُ أن تكون موضوعاً لبحثي المكمل لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث. وكان اختياري لها لأسباب من أهمها:

- أنها المعركة الأولى التي كانت مفرق الطرق في الصراع بين الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية المتمثلة في واليها على مصر محمد علي باشا وهذه المعركة كانت بمنطقة الحجاز في شبه الجزيرة العربية.
- إبراز أطماع والي مصر محمد علي باشا التوسعية والاستمرار في حكم مصر.

---

(١)- النجدي: عثمان بن بشر ت(١٢٨٨هـ/١٨٧١م)، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١، ط٤، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، الرياض، ص٢٩٥ .

(٢)- محمد علي (١١٨٢هـ-١٢٦٤هـ /١٧٦٩م-١٨٤٩م) حكم مصر في عام(١٢١٨هـ/١٨٠٦) عمل في الجندية ثم التجارة وشارك ضد الحملة الفرنسية على مصر.انظر الرافعي: عبدالرحمن، عصر محمد علي، ط٥، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، دار المعارف، القاهرة، ص٥ .

(٣)- يقع الخيف غرب المدينة المنورة ويبعد عنها ١٢٨كم . انظر البلادي: عاتق بن غيث، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، دار مكة، جده، ص١٧٦ .

- عدم وجود دراسات علمية متخصصة حول معركة وادي الصفراء وما آلت إليه بعد ذلك من أحداث .
- أهمية الصراع السعودي العثماني في الحجاز وما ترتب عليه من أحداث بعد معركة وادي الصفراء وسقوط الدولة السعودية الأولى.
- أهمية الحرمين الشريفين الدينية لدى الدولة العثمانية، وذلك لأسباب وعوامل دينية كونها دولة الخلافة، ولأن الخليفة ملقب بخادم الحرمين الشريفين.
- توضيح وبيان بعض الخطط العسكرية والاستراتيجيات التي طبقت في المعركة من قبل وقام بها قائد الجيش السعودي .
- أن معركة وادي الصفراء كانت نقطة تحول في أحداث المنطقة جعلت الدولة العثمانية تقوم بدعم محمد علي ومساعدته مالياً وعسكرياً .
- توضيح أسباب عدم ملاحقة الجيش السعودي للجيش العثماني المنهزم في المعركة وما ترتبت عليه من أحداث بعد ذلك.
- أن هذه الدراسة إضافة جديدة للمكتبة العلمية لكونها الدراسة الأولى العلمية في هذا الموضوع.

الدراسات السابقة:

بعد اختيار موضوع الدراسة قام الباحث بالرجوع إلى قواعد المعلومات المتوفرة بالجامعات ومراكز البحث مثل مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، وتبين أن موضوع الدراسة لم يسبق أن كتب فيه من قبل كرسالة جامعية حسب علم الباحث، وأن المعركة قد تم الحديث عنها عرضاً ضمن كتابات بعض الدارسين و من هذه الدراسات:

- كتاب (حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها١٢٣١-١٢٣٣هـ/١٨١٦-١٨١٨م)[١]، تناول في التمهيد، (علاقة الدولة السعودية الأولى بالدولة العثمانية)، وتحدث في جانب منه عن معركة وادي الصفراء التي هزمت فيها القوات العثمانية، ولم يتحدث عنها كمعركة غيرت بعد ذلك مجريات الأحداث بين الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية وعلى أثرها سقطت الدرعية.
- كتاب (الدولة السعودية الأولى من خلال كتابات الرحالة والمستشرقين البريطانيين)(٢) ذكر في الفصل الرابع منه تحت عنوان "أثر سقوط الدولة السعودية الأولى على كتابات المستشرقين" المبحث الأول ما كتبه هارفرد جونز (Harford Jones) عن معركة وادي الصفراء في كتابه (موجز التاريخ الوهابي) وكان ذلك بشكل مقتضب، فلم يعط الكتاب هذه المعركة حقها رغم أن مؤلفها تكلم عنها بإسهاب في كتابه.
- كتاب (الدولة السعودية الأولى ج١)[٣]، جاء في الفصل الحادي عشر"استرداد الحجاز من آل سعود" عن معركة وادي الصفراء أن قوات محمد علي توجهت إلى المدينة المنورة، وفي ممر وادي الصفراء حلت بها هزيمة قاسية ولم يبد أي تفاصيل حول المعركة ومجرياتها.

★وهذا البحث يختلف عما كتب في تلك الكتب والرسائل عن معركة وادي الصفراء من جوانب عدة منها: أسباب المعركة، أحداثها ونتائجها، ثم سأتحدث عن المعركة في ميزان التاريخ بإسهاب يعطيها حقها التاريخي والعلمي .

---

(١)- القحطاني: فاطمة حسين، حملة ابراهيم باشا على الدرعية وسقوطها، ١٤٣١هـ/٢٠١١م، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ص٥٨-٥٩ .

(٢)- أبوقايد: أحلام بنت علي بن أحمد، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، د.ت،مكة،ص٢٧٤.

(٣)- عبدالرحيم: عبدالرحمن، ط٦، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ص٣١٤-٣١٥.

مشكلة البحث :

سيجيب البحث عن الأسئلة التالية:

١)- ما طبيعة الصراع بين الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية في تلك الفترة من خلال روايات المؤرخين ؟

٢)- ما دور محمد علي والي مصر في الصراع بين الدولة العثمانية والدولة السعودية الأولى؟

٣)- ما هدف محمد علي من الصراع ؟

٤)- ما النتائج المترتبة على هذه المعركة وما بعدها ؟

٥)- ما هو الهدف من تشويه سمعة الدولة السعودية ودعوتها الإصلاحية عند الولاة العثمانيين؟

أهداف البحث :

للبحث أهداف يحاول أن يحققها، منها :

١)- توضيح حقيقة العلاقات بين السعوديين والعثمانيين سياسياً وعسكرياً و دينياً.

٢)- استخلاص نتائج الصراع بين الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية بعد معركة وادي الصفراء .

٣)- توضيح أسباب عدم مطاردة السعوديين لفلول الجيش العثماني المنهزم، وتأثير ذلك على الاستفادة من انتصارهم في هذه المعركة .

٤)- عرض جغرافية موقع المعركة، وأثره في دعم انتصار الجيش السعودي على الجيش العثماني.

٥)- الكشف عن حلقة من حلقات الصراع العسكري السعودي والعثماني في العصر الحديث، وبيان أهمية معركة وادي الصفراء وشرح الخطط العسكرية للجيش السعودي والجيش العثماني.

٦)- بيان موقف محمد علي باشا من خلال معركة وادي الصفراء .

حدود البحث :

لكل بحث حدود زمنية ومكانية :

- فالحدود الزمنية:

سيتحدث البحث عن المعركة التي وقعت في عام (١٢٢٦هـ/١٨١١م)، ولا بد من الحديث عن الأحداث التي كانت قبل المعركة و التي كانت بعدها.

- والحدود المكانية:

أما الحدود المكانية للبحث فهي، وادي الصفراء، ويقع غرب المدينة المنورة، ويبعد عنها ١٢٨ كيلو متراً، ويبعد عن ينبع ١١٠ كيلو متراً[١]، ويتميز بطبيعة جغرافية في كونه منطقة جبلية وعرة وممراً ضيقاً تصعب فيه تحركات الجيوش والآليات العسكرية.

منهج البحث وإجراءاته :

سيستخدم الباحث لبحثه بحول الله تعالي المناهج التالية :

- المنهج التاريخي: (وهو المراحل التي يسير خلالها الباحث حتى يبلغ الحقيقة التاريخية بقدر المستطاع ويقدمها إلى المختصين بخاصة والقراء بعامة)[٢].

- المنهج الوصفي: (وهو عبارة عن أسلوب يعتمد على جمع المعلومات والبيانات عن ظاهرة، والتعرف على هذه الظاهرة)[٣]، و ذلك من خلال المصادر الأولية السعودية والمصرية وكتب الرحالة والمستشرقين.

---

(١) البلادي: عاتق بن غيث، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة، ١٤٠٢، ص١٧٦.

(٢) عثمان، حسن، منهج البحث التاريخي، ط٦، القاهرة، د.ت، دار المعارف، ص٢٠.

(٣) ذوقان، عبيدات وآخرون (١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م) البحث العلمي مفهومه وأدواته وأسإلبه، الأردن، د.ت، دار الفكر، ص١٩١.

تقسيم البحث:

سأسير بحول الله تعالي في دراستي لهذا الموضوع وفق الخطة التالية:

التمهيد:

ويشمل العلاقة بين السعوديين والعثمانيين قبيل المعركة.

الفصل الأول/ أسباب المعركة :

المبحث الأول: الأسباب الدينية.

المبحث الثاني: الأسباب السياسية.

المبحث الثالث: الأسباب الاقتصادية.

الفصل الثاني /أحداث المعركة:

المبحث الأول: الخطة العسكرية للجيشين .

المبحث الثاني : موقع المعركة.

المبحث الثالث : سير المعركة.

الفصل الثالث/ معركة وادي الصفراء في ميزان التاريخ:

المبحث الأول: أسباب نصر الجيش السعودي .

المبحث الثاني: أسباب هزيمة جيش محمد علي.

المبحث الثالث: نظرة المؤرخين للمعركة.

المراجع

الخرائط

الفهرس

التمهيد

العلاقة بين السعوديين والعثمانيين

- **أولا / الحملات العسكرية بين العثمانيين والسعوديين عن طريق العراق**
- **ثانيا / الحملات العسكرية بين العثمانيين والسعوديين عن طريق بلاد الشام**
- **ثالثا / الحملات العسكرية بين العثمانيين والسعوديين عن طريق ولاة الحجاز**

التمهيد

- **العلاقة بين السعوديين والعثمانيين:**

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المختار الأمين ، نبينا محمد و على آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين ، أما بعد :

يجب أن أشير في البداية، أن هذه الفترة كانت عبارة عن سلسلة من الأحداث المتتابعة على شبه الجزيرة العربية، والتي بسطت فيها الدولة العثمانية نفوذها عليها منذ وقت مبكر، حيث مدت حكمها على الحجاز بعد سقوط مصر من يد المماليك سنة (٩٢٣هـ-١٥١٧م)[١] وبهذا أصبح السلطان العثماني سليم الأول يحكم مصر وانتقلت تابعية الحجاز إلى حكم العثمانيين سلمياً عندما بادر الشريف بركات بإرسال ابنه أبي نمي إلى القاهرة يحمل مفاتيح الحرمين الشريفين معلنا الولاء للعثمانيين، فأكرمه السلطان سليم الأول وأعطاه تفويضاً بحكم والده للحجاز[٢]، وظل الأشراف يتعاقبون على حكم الحجاز إلى أن تمكنت الدولة السعودية الأولى من بسط السيطرة عليه. أما في شرق شبه الجزيرة العربية خاصة الأحساء، فإنه بعد سقوط بغداد ودخولها تحت الحكم العثماني سنة (٩٤١هـ-١٥٣٥م)[٣]، مدت الدولة العثمانية حكمها على الأحساء في العقد السادس من القرن العاشر الهجري ، وظلت تحكمها حتى انتزعها منها زعماء بني خالد (سنة ١٠٨٠هـ-١٦٧٠م)[٤] ، وظل هؤلاء الزعماء يحكمونها ، إلى أن دخلت تحت الحكم السعودي؛ بينما ظلت منطقة نجد بعيدة عن النفوذ العثماني والذي ظهرت فيه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب* سنة (١١٥٣هـ-١٧٤٠م)[٥]، ثم كان اتفاق الدرعية سنة (١١٥٧هـ-١٧٤٤م)[٦]وقيام الدولة السعودية الأولى، وبدء ظهور

---

(١) المحامي : محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط١١، ١٤٣٠هـ، دار النفائس، بيروت، تحقيق/إحسان حقي، ص٢٥.

(٢) الحلواني : سعد بدير ، العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن١٩ ،ط٢ ،١٤١٥هـ-١٩٩٥م ،ص٤.

(٣) المحامي : محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مصدر سابق، ص٢٢٢.

(٤) عبدالرحيم : عبدالرحيم عبدالرحمن ، الدولة السعودية الأولى ، مصدر سابق ، ص ٣٠.

* الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان آل مشرف التميمي ولد في العيينة سنة (١١١٥هـ-١٧٠٣م) وتوفي في الدرعية سنة(١٢٠٦هـ-١٧٩١م).

(٥) ابن غنام :الشيخ حسين ،تاريخ نجد،ط٤، ١٤١٥ ،حققه :ناصر الدين الاسدي ،دار الشروق ،القاهرة، ص٨٣.

(٦) ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، مصدر سابق، ص ١٤.

قوة جديدة وتغيرات تمثلت في توحيد منطقة نجد تحت زعامة موحدة، بعد أن كانت وحدات صغيرة وامارات متعددة وتمكنت هذه الدولة الناشئة في قلب نجد من أن توحد معظم أرجاء شبه الجزيرة العربية.

واخذ الموقف يتغير تدريجياً مما أدى إلى لفت الأنظار اليها من قبل الدولة العثمانية خاصة بعد لجوء بعض قبائل الأحساء ورؤسائها إلى العراق والحجاز حين قام السعوديين بإخضاعهم، وكان ذلك تمهيداً للصراع العسكري الذي حدث لاحقاً بين السعوديين والعثمانيين. والذي شهدت فيه شبه الجزيرة العربية تتابع الحملات العثمانية على الدولة السعودية الأولى وعاصمتها الدرعية.

- **أولا / الحملات العسكرية بين العثمانيين والسعوديين عن طريق العراق :**

بدأت اولى الحملات العسكرية العثمانية على الدولة السعودية الأولى حينها بأوامر سلطانية عام (١٢١١هـ-١٧٩٦م)(١) حيث أرسل السلطان العثماني فرماناً إلى سليمان باشا* والي العراق يأمره بالزحف إلى الدرعية والقضاء على السعوديين، ولكن سليمان باشا تقاعس عن الأمر نسبيا لأن الحرب في الصحراء ، وبعد المراسلات والمكاتبات من قبل أهل منطقة الأحساء وطلب النجدة ودس الأكاذيب والافتراءات على السعوديين، وبعد الإلحاح بطلب تولية ثويني بن عبدالله(٢)* لقيادة الجيش لمعرفته بحرب السعوديين توالت الرسل من أهل الأحساء حتى وجدت لديه ميلاً في ذلك ففك أسر ثويني رئيس قبائل المنتفق وعقد له قيادة الجيش ومن ثمَّ إرساله بجيش جرار لقتال السعوديين، وأمره بتدمير نجد ومن فيها ، ورغم قوة الحملة التي قادها ثويني بن عبدالله إلى الأحساء إلا أنها لم تحقق الهدف المرجو منها، بل العكس انتهت

---

(١) عبدالرحيم: عبدالرحيم عبدالرحمن، تاريخ الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق، ص٢٠٥ .

* هو سليمان باشا الكبير: تولى باشوية بغداد في عام(١١٩٤هـ-١٧٨٠م) وتوفي عام(١٢١٧هـ-١٨٠٢م). مانجان، تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية، ص٢٩٢.

* ثويني بن عبدالله: شيخ قبائل المتفق أكبر قبائل جنوب العراق والتي تنزل نواحي من البصرة والسماوة وسوق الشيوخ، قتل ثويني على يد أحد عبيد بني خالد عام١٢١٢هـ عند ماء الشباك، ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١، ص١٣٨.

(٢) آل الشيخ: عبدالرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، المقامات، ١٤٢٦، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص٩٣؛ ابن غنام ، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١٧١؛ بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابين، د.ن، جامعة الملك سعود، ترجمة/د.عبدالله صالح العثيمين، ص٨٢.

بمقتل القائد نفسه ثويني بن عبدالله على يد عبد من عبيد بني خالد اسمه (طعيس)[1] لميله للدعوة السلفية، وانتهت الحملة ولم يستطع ذلك الجيش القيام بأي عمليات عسكرية في الأحساء بعد مقتل قائده.

ولم يقتنع السلطان العثماني بما جرى فأمر بإرسال حملة أخرى في عام(١٢١٣هـ-١٧٩٨م)[2]. كانت حملة علي باشا الكيخيا* حيث قام سليمان باشا بإعداد حملة قوية للقضاء على الخطر السعودي الذي بات يهدد أملاك الدولة العثمانية في داخل أراضيها ، حيث إن سعود الأمير بعد فشل حملة ثويني بن عبدالله وقتله هاجم منطقة العراق خاصة سوق الشيوخ والسماوة ، ووصل إلى قرية (أم العباس) وقتل كثيراً من أهلها ونهب أموالها ، وحرق الكثير من دورها ، وشن هجوماً على قبائل بوادي شمر والظفير وآل بعيج والزقاريط وغيرهم من العربان. كل هذه الأحداث أدت إلى تسيير هذه الحملة، وكانت تحت قيادة الكيخيا علي باشا[3]، وكانت مكونة من قوات نظامية وبعض العربان، واتجهت كسابقتها إلى الأحساء ولم تتجه إلى الدرعية مباشرة، وانقسمت الحملة عند البصرة إلى فريقين، فريق الفرسان وكان مع علي باشا، سار عن طريق البر قاصداً الأحساء. وفريق المشاة والمدفعية ومعه المعدات والذخائر الثقيلة نقلت عن طريق البحر على ظهر السفن إلى الأحساء. ورغم شدة هجمات قوات علي الكيخيا ضد الحصون السعودية في حصن (المبرز) و(الهفوف) إلا أن هذين الحصنين صمدا بقوة، حيث كان قائد حصن المبرز سليمان بن ماجد*، وقائد حصن الهفوف إبراهيم بن

---

(١) ابن غنام ، تاريخ نجد، مصدر سابق ص١٧١؛ بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ االوهابيين، د.ن، جامعة الملك سعود، ترجمة/د.عبدالله صالح العثيمين، ص٨٢.

(٢) بريدجز :هارفرد جونز، موجز التاريخ الوهابي، ط ١٤٢٥هـ، ترجمة/عويضة بن متيريك الجهني، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ، ص٨٨؛ بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ االوهابيين، مصدر سابق، ص٨٤؛ عبدالرحيم : عبدالرحيم عبدالرحمن، تاريخ الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق، ص٢٠٩.

* علي الكيخيا: هو أحد عبيد سليمان الكبير، سجن معه في شيراز ثم ساعد سليمان لتولي السلطة في بغداد وتزوج ابنته. ومعنا الكيخيا: لقب يستعمله الأتراك بمعنى النائب؛ مانجان، تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية، ص٣٠٠.

(٣) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تحقيق/أحمد أبو حاكمة، ط ،١٩٦٧م ،مطابع بيبوس الحديثة، لبنان، ص١٢٦؛ ابن غنام ، تاريخ نجد، ص١٩٩.+ ابن بشر، تاريخ نجد، ج١، ص١٥١؛ آل الشيخ: عبدالرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، المقامات، مصدر سابق، ص٩٣.

* سليمان بن ماجد: هو سليمان بن محمد بن ماجدالناصري التميمي وهو من ثادق تولى إمارة الأحساء (١٢١٣هـ- إلى عام ١٢١٩هـ) للإمام عبدالعزيز بن محمد. ابن بشر، تاريخ نجد، ج١، مصدر سابق، ص٩٤.

سليمان بن عصيفان* التابعه للسعوديين.

ولصمود هذين الحصنين أثرهما السيئ على نفوس جند علي الكيخيا و أتباعه من أفراد العشائر، كما أن وصول قوات الأمير سعود إلى الأحساء ونزوله على ماء (ثاج)* أدى إلى انسحاب الكيخيا إلى ماء (الشباك)* قريبا منه، وكانت خطة الأمير سعود قطع الطريق على الكيخيا علي، وجرت بعض المناوشات بين فرسان الفريقين، ثم دارت مفاوضات بينهما أدت إلى صلح بداية عام (١٢١٤هـ-١٧٩٩م)(١).

بعد فشل الحملتين العثمانية على الأحساء تغير ميزان القوى لصالح السعوديين حيث ازداد عدد الهجمات السعودية على العراق، والتى وصلت إلى حدود بغداد استمرت لمدة ربع قرن.

لقد أدت هجمات قبائل الخزاعل الشيعية على القوافل السعودية إلى نقض الصلح(٢)، مما جعل الأمير سعود يقوم بحملة تأديبية في بداية عام (١٢١٦هـ-١٨٠١م)(٢)، حيث توجه الأمير سعود إلى المزارات الشيعية للانتقام من الشيعة وهدم مزاراتهم بنفسه التي كان أتباع الدعوة السلفية يرون فيها تجسيداً وإحياء للوثنية ، وكان الأمير سعود يقود جيشاً كبيراً حيث دخل الحدود العراقية ،وبعد مناوشات قوية بينه وبين عربان قبائل المنتفق والظفير، ظهر فجأة أمام (كربلاء) مدينة الشيعة المقدسة وهي بلدة الحسين رضي الله عنه وكان في ذي القعدة، فتسور الجند سورها ودخلوها عنوة وهدموا القباب والمشاهد وهدموا كذلك القبة التي على قبر الحسين رضي الله عنه، وقتل غالب أهلها المحاربين في الأسواق، واخذ ما في قبة الحسين رضي الله عنه

---

* إبراهيم بن سليمان بن عصيفان: ولي إمارة الخرج بعد وفاة أبيه، كان قائداً عسكرياً فذاً، عين أميراً للأحساء ١٢١٩هـ، ثم أميراً لعنيزة، ومات بها سنة١٢٢٩هـ، ابن بشر، تاريخ نجد، ج١، مصدر سابق، ص٩٥.

* (ثاج) قرية قديمة تقع في وادي الستار في شرق الجزيرة العربية ويسكنها قبيلة بني خالد وتبعد عن مدينة الجبيل الصناعية ٨٠كم، انظر: حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ج١، ص ٣٠٧. ابن غنام ، تاريخ نجد، ص١٩٩.

* (الشباك): ماء الشباك اسم يطلق على عدد من الآبار تقع في وادي الستار، وهو يقع إلى الجنوب من أبي حدرية ٧كم وساحل الخليج العربي، انظر: حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية،ج٢، ص٩٠٧.

(١) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ، ص١٥٠؛ بريدجز :هارفرد جونز، موجز التاريخ الوهابي، ص٩٦؛ عبدالرحيم :عبدالرحمن تاريخ الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق ، ص٢٠٨.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١٥٤ ؛ بريدجز :هارفرد جونز، موجز التاريخ الوهابي، ص٩٧؛ بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ االوهابيين، مصدر سابق، ص٨٤.

من مجوهرات ومصاحف ثمينة وأموال وسلاح وألبسة وفرش و أواني ذهبية وفضية تعويضاً عن قتل رجالهم، وقتل في كربلاء من أهلها حوإلى ألفي رجل، وعادوا بسرعة إلى الدرعية [١] .

بعد موت سليمان باشا والي العراق تولى صهره الحكم في العراق علي باشا الكيخيا السابق عام (١٢١٦هـ-١٨٠١م)[٢] بعد استلام فرمان الولاية أكد السلطان العثماني على ضرورة استئناف الجهود في القضاء على الدولة السعودية الأولى الخطر المغدق، وتسلم هذا الباشا فرماناً من السلطان العثماني يقضي بتعيينه قائداً عاماً ((سر عسكر))* لغزو الأراضي السعودية، وتحطيم الدرعية انتقاماً لغزو كربلاء، وجهز علي باشا حملة وصلت إلى جبل شمر، وأخذت قواته تتجول في تلك الربوع دون أن تدخل الأراضي النجدية .

أخذت الهجمات السعودية بعد ذلك تتواصل على قرى العراق ومدنه عاما بعد عام، وكان أقسى هذه الهجمات بعد مذبحة كربلاء ومقتل الإمام عبدالعزيز بن محمد عام (١٢١٨هـ -١٨٠٣م)[٣] الحملات التي كانت تأديبية لمقتل الزعيم السعودي، تحركت سنة (١٢١٩هـ-١٨٠٤م)[٤] والتي قادها الإمام الجديد سعود بن عبدالعزيز، سار الإمام سعود باتجاه البصرة فخرب جنوده أراضي هذه المدينة التجارية ،ونهبوا منازل الضواحي . تلا ذلك عدة غزوات تأديبية للقبائل العراقية في عام (١٢٢٣هـ-١٨٠٧م)[٥].

في عام (١٢٢٥هـ-١٨٠٩م)[٦] بعث الإمام سعود رسالة إلى علي باشا الكيخيا والي بغداد، يعرب له فيها أنه يريد أن يعيش بسلام مع جيرانه. فرد عليه علي باشا بأنه سوف يقوم بغزو الدرعية، ولما عاد مبعوث الإمام بالرد خرج الإمام من الدرعية بجيش جرار معه قادة جيوشه، وصل

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١٥٥؛ ابن غنام ، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص٢٠١؛ عبدالرحيم : عبدالرحيم عبدالرحمن، تاريخ الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق ، ص٢١٧.

(٢) آل الشيخ: عبدالرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، المقامات، مصدر سابق، ص٩٣؛ عبدالرحيم : عبدالرحيم عبدالرحمن، تاريخ الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق ، ص٢١٩.

* (سر عسكر) كلمة تركية معناها قائد القوات.

(٣) ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١٥٨. + بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ االوهابيين، مصدر سابق، ص٨٦.

(٤) مانجان : فليكس ، تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية ، مصدر سابق ، ص٣١٢.

(٥) المصدر نفسه، ص٣١٥.

(٦) بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ االوهابيين، مصدرسابق، ص١٠٣.

ثالإمام سعود إلى بحيرتي (زبالة و الجميمه)* وناوش بدو المنطقة ثم توجه إلى (كربلاء)* وكانت هذه المدينة محاطة بأسوار عالية، ولها حامية كبيرة، ثم عدل عنها متوجهاً إلى (السماوه)* وحاصرها لمدة يومين، ولم يستطع إخضاعها، فتوجه إلى سوق الشيوخ يقصد بذلك حمود بن ثامر، فتقابل معه وقتله تم سار إلى (البصرة)* فخرب جنوده ضواحيها ولم يستطيع دخولها لتحصيناتها وبعدها رجع إلى الدرعية. وبعدها كانت هنالك مناوشات تأديبية بسيطة للباديه لا تذكر حتى بدأ غزو محمد علي باشا للحجاز .

- **ثانيا / الحملات العسكرية بين العثمانيين والسعوديين عن طريق بلاد الشام :**

أدى فشل ولاة بغداد في القضاء على الدولة السعودية الأولى إلى أن يتجه السلطان العثماني بنظره إلى بلاد الشام فاصدر اوامره السلطانية إلى عبدالله العظم بالتحرك فلم يحرك ساكناً، فقام السلطان سليم بعزله سنة (١٢٢٢هـ-١٨٠٧م)[١]وتعيين يوسف كنج باشا*، وطلب السلطان من وإلى الشام الجديد يوسف باشا في سنة (١٢٢٤هـ-١٨٠٩م)[٢]، بإرسال حملات على الدولة السعودية الأولى للقضاء عليها، لكن قواته لم تستطع عمل أي شئ نحو الدولة السعودية "الا أن يوسف باشا قام ببعض التجهيزات الضئيلة لشن هجوم على منطقة الجوف المشتملة على عدة قرى في الطريق من دمشق إلى نجد، والتي تبعد عن العاصمة السورية أثنى عشر يوما. لكن ذلك كان مجرد استعراض عقيم لحماسه ، ولم يدخل حيز التنفيذ "[٣]

---

* (زبالة و الجميمه) قريتان تتبع محافظة المثنى العراقية مقابلة مدينة رفحاء السعودية في الشمال الشرقي للجزيرة العربية. انظر الخريطة رقم١، ص٨٠.

*كربلاء : مدينة عراقية. ابن غنام ، تاريخ نجد، ص٢٠١.

* السماوة : مدينة عراقية. ابن غنام ، تاريخ نجد، ص٢٠١.

* البصرة : مدينة عراقية على شط الخليج العربي. ابن غنام ، تاريخ نجد، ص٢٠١.

(١) ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١٧٧؛ عبدالرحيم : عبدالرحيم عبدالرحمن تاريخ الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق ، ص٢٢٨.

* يوسف كنج: تولى ولاية الشام بدل عبدالله العظم سنة ١٢٢٢هـ ، كان صديقاً مقرباً من محمد علي باشا. ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد، ص١٧٧.

(٢) بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين، مصدر سابق، ص١٠١.

(٣) المصدر نفسه، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٠٢.

وفي عام (١٢٢٥هـ-١٨١٠م)[١]بدأ الإمام سعود بن عبدالعزيز مرحلة جديدة أثارة الرعب في سوريا حين وصل إلى مشارف دمشق وحوران التي تبعد يومين عن دمشق، ولم يستطع جيش يوسف باشا إيقافه، وفي خلال ثلاثة أيام قام قائده الحراق بنهب أكثر من خمس وثلاثين قرية. وكان قصد الإمام سعود من كل محاولاته لنهب تلك القرى هو إدخال الرعب واستسلام دمشق طواعية ودخولها تحت حكمه .

- **ثالثا / الحملات العسكرية بين العثمانيين والسعوديين عن طريق ولاة الحجاز :**

كان هناك تجاذب بين السعوديون والأشراف في بدايات الدعوة السلفية وتبادل الرسل حيث زار الشيخ عبدالعزيز الحصين*مكة المكرمة بطلب من الأشراف لفهم حقيقة الدعوة السلفية وتخللها تبادل الهدايا والسماح لأتباع الدعوة بالحج، ولما تولى شرافة مكة الشريف غالب بن مساعد* استأذنه أهل نجد للحج ورفض بدوره ذلك، "كان في أمارة مكة الشريف غالب فاستأذنوه في الحج فأبى فقامت لذلك الحرب بينهم "[٢]حيث لم يبقى أمامهم بعد ذلك إلا الحل العسكري .

في عام (١٢٠٥هـ-١٧٩١م) جهز الشريف غالب بن مساعد جيشا كبير بقيادة أخيه الشريف عبدالعزيز بن مساعد، فسار حتى وصل قرية (قصر بسام)*[٣] في منطقة السر وكانت هذه القرية محصنة بحصن، "فاجتمع بين يديه من حشود الحضر والبدو مالا يكاد يحصر، فلما رأى هذه الجيوش مجتمعه شمخ بأنفه ، وركبه الكبر والغرور ، وسولت له نفسه أنه يستطيع أن يفتح نجد ويهزم المسلمين "[٤]، قام الشريف عبدالعزيز بن مساعد بحصارها عشرة أيام وضربها بالمدافع ، ثم انتقل عنها لأن حصنها أعجزه، وطالت أيام الحصار وسئم من كان معه من

---

(١) بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٠٣.

*عبدالعزيز بن عبدالله الحصين: ولد في القرائن سنة١١٥٤هـ، أكب على العلم في الدرعية. وكان قاضي الوشم في عهد الإمام عبدالعزيز وابنه سعود وحفيده عبدالله. كانت وفاته١٢٣٧هـ.ابن بشر، تاريخ نجد، ج١، ص١٠٦.

(٢) البتنوني :محمد لبيب ، الرحلة الحجازية ، مصدر سابق ، ص٨٧؛ آل الشيخ: عبدالرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، المقامات، مصدر سابق، ص٩٧.

(٣) دحلان : أحمد زيني ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، مصدر سابق ، ص٢٦٢.

* قصر بسام: أو قصر البارود هو أحد الحصون في منطقة تربة وبه نخيل. ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد، ص١١٠.

(٤) ابن غنام، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١٧٦؛ عبدالرحيم : عبدالرحيم عبدالرحمن تاريخ الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق، ص١٣٩.

الأشراف والجنود لأن لهم أشهراً بين السير والحصار رغم العدة والعتاد الذي معهم في الجيش ، فتوجه إلى (قصر الشعرا)*[1] القرية المعروفة في عالية نجد، فحاصرها لمدة شهر ثم رحل عنها الشريف عبدالعزيز بعد أن أعيته، ففشل فشلاً ذريعاً في هذه القرية الأخرى. "وكاتب أخاه الشريف غالب بن مساعد بأن يمده بمدد وعون أو أن يسير إليه، ورجع مره أخرى إلى قصر بسام وعزم على ألا يبرحه حتى يقتل أهله. فداهموا سور القصر واستخدموا السلالم ولم يستطيعوا دخوله ولم ينالوا منه شيئا"[2] .

وفي أثناء ذلك أرسل الإمام عبدالعزيز بن محمد إلى أتباعه يهيب بهم أن يصدقوا النية في الجهاد والالتحاق بجيشه، وأمر على الجيش ابنه ألامير سعود وخرج متوجهاً بمن معه حتى نزل أرض (رمحين)* فأقام بها حتى توافدت عليه الجموع من أنصاره . ثم أمر حسن بن مشاري* مع بعض البادية أن يسير إلى بعض العربان ليغير عليهم حيث أنهم كانوا مع الشريف غالب بن مساعد ، فأغاروا عليهم واخذوا إبلهم ثم عادوا .

في عام (١٢١٣هـ-١٧٩٨م)[3] انعقد الصلح بين الشريف غالب شريف مكة والإمام عبدالعزيز بن محمد حيث حددوا على ضوئه الممالك والقبائل التابعه لكل منهما ودام الصلح خمس سنوات[4].

في عام (١٢١٧هـ-١٨٠٢م)[5] انتقض الصلح بين الشريف غالب وبين الإمام عبدالعزيز بن محمد، ولحق به عثمان المضايفي* وزير الشريف ونزل بلدة (العبيلا)* بين تربة والطائف واجتمع

---

(١) ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١١٠.

* الشعرا: بلدة في عالية نجد، فيها مزارع ونخيل، شرقي جبل ثهلان، على وادي الرشا قرب الدوادمي وسكانها من قبيلة بني زيد وغيرهم من القبائل. آل الشيخ: عبدالرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، المقامات، ص٩٢.

(٢) البسام : عبدالله محمد ، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق ، ط١، ٢٠٠٠م ، شركة المختلف للنشر والتوزيع ،الكويت ، تحقيق / إبراهيم الخالدي ، ص٢٣٤.

* رمحين: نفوذ قرب مدينة شقراء . ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد، ص١٧٤.

* حسن بن مشاري: حسن بن مشاري بن سعود بن محمدآل سعود أحد قواد الإمام عبدالعزيز بن محمد وبن عمه . ابن غنام، تاريخ نجد، مصدر سابق، ج٢، ص١٦٧.

(٣) دحلان : أحمد زيني ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، مصدر سابق ،ص٢٦٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٨.

(٥) الفاخري : محمد عمر ، تاريخ نجد ، مخطوط ٤٨ ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ص٧٤؛ آل الشيخ: عبدالرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، المقامات، ص٩٩.

* وهو الأمير عثمان بن عبد الرحمن بن عون بن جمهور المضايف ، من أهل العبيلا قرية بالطائف وهو من قبيلة عدوان الزهرانية القبيلة المشهورة بعد الطائف كان عثمان المضايفي صهراً للشريف غالب بن مساعد متزوجاً بأخت الشريف =

عليه جنود أهل الحجاز وغيرهم ، ثم سار إليه الشريف غالب بالعساكر والجموع ونزل لقتال المضايفي وأهل العبيلا* ووقع قتال ولم يحصل الشريف على طائل ورحل عنها إلى الطائف ثم إن عثمان المضايفي استنجد بسالم بن شكبان* أمير بيشه وقراها وكذلك بمسلط بن قطنان* بأهل رنيه ومن كان عنده من سبيع .

وسار إليه حمد بن يحيى* بأهل تربة ومعه البقوم ولحق بهم شيخ قحطان هادي بن قرمله* وكذلك عربان من العتبان اجتمعوا عند عثمان المضايفي فسار بهم إلى الطائف[1] وفيها الشريف غالب متحصناً فحاصرها جيش عثمان المضايفي فهرب الشريف غالب إلى مكة ودخل عثمان المضايفي الطائف دون قتال يذكر فعينه الإمام عبدالعزيز اميراً على الطائف وعلى الحجاز .

في عام(١٢١٨هـ-١٨٠٣م)[2] أحاط السعوديون بمكة المكرمة وحاصرهاخلال موسم الحج حصارا شديدا دون قتال يذكر، فارتحل عنها الشريف غالب ومعه شريف باشا هربا إلى جدة، فدخلها السعوديون دون حرب بقيادة الأمير سعود بن عبدالعزيز وعثمان المضايفي .

= المذكور ، وكان من أكبر أعوان غالب وقواد جيوشه ، ولما انتقض الصلح الذي كان بين الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود وبين الشريف غالب ، كان نقضه من جانب غالب سنة ١٢١٧هـ ، فارق عثمان الشريف غالب مغاضباً له وقدم الدرعية على الإمام عبد العزيز وبايعه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة ثم رجع إلى الحجاز ونزل قرية العبيلا الواقعة بين الطائف وتربه واجتمع عليه جنود كثيرة من أهل الحجاز وغيرهم وأخذ الطائف من غالب عنوة سنة ١٢١٧هـ ، ثم بعد هذا أخذ يجاهد تحت راية ولاة هذه الدعوة السلفية من ملوك آل سعود وصار من أكبر أعوانهم وأبلى معهم بلاء عظيما في حربهم محمد علي باشا حتى قدر الله ما قدر من هزيمته وأسره كما ذكره المؤلف ابن بشر : ص ٣٣٥ .

* العبيلا: قرية تقع على طريق الباحة قرب الطائف تبعد حوإلى ٦٥كم من قرى بلاد زهران.

* هو سالم بن شكبان زعيم قبيلة شهران في بيشة دخل في الدعوة السلفية وكان أحد القادة المشهورين للدولة السعودية مات في بيشة بعد أن رجع من حصار جدة عام(١٢٢٠هـ-١٨٠٥م) . ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١، مصدر سابق، ص٢٨٦؛ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، تاريخ الدولة السعودية الأولى، ص٢٤٥.

* مسلط بن قطنان: زعيم قبائل بني زيد من اهل رنية. ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١، ص٢١١.

*حمد بن يحيى: شيخ قبائل البقوم في مدينة تربة المعروفة الآن بتربة البقوم. ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد،ج١، ص٢٣٤.

* هادي بن قرملة: زعيم قبيلة قحطان، وفد إلى الدرعيةسنة١٢٠١هـ، قتل في معركة وادي الصفراء١٢٢٦.ابن بشر، تاريخ نجد، ج١، ص١٠٠.

(١) بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ االوهابيين، مصدر سابق، ص٨٨.

(٢) الجبرتي: عبدالرحمن حسن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، طبعة بولاق، ١٩٩٨م، تحقبق /ا.د.عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، مطابع دار الكتاب المصرية، القاهرة ، ص٣٨٨.

ثم ارتحلت القوات في أثر الشريف غالب إلى جدة وحاصرتها في عام (١٢١٩هـ-١٨٠٤م)[١] كما اصدر الإمام سعود بن عبدالعزيز أمره إلى أمير ألمع وعسير ونواحي تهامة عبدالوهاب بن عامر أبونقطة* بأن يسير إلى جدة بجيش كبير، فقام بتجهيزه ونزل (ماء السعدية) * وكانت المناوشات خفيفة ترجح بها كفة أبو نقطة، ثم عادة القوات بعد أن وضعت الشريف عبدالمعين بن مساعد اخو الشريف غالب حاكماً لمكة المكرمة، وبعد خروج القوات السعودية من مكة المكرمة عاد إليها مرة اخرى الشريف غالب وارجعها إلى حكمه بعد رحيل جيش الإمام سعود بن عبدالعزيز.

اصدر الإمام سعود بن عبدالعزيز أمره إلى عبدالوهاب أبو نقطة ومعه سالم بن شكبان وعثمان المضايفي بالسير إلى مكة المكرمة عام (١٢٢٠هـ-١٨٠٥م)[٢] ومحاصرتها والتضييق على أهلها، وأن يمنعوا الحج الشامي من دخول مكة المكرمة إذا كان محاربا . وأصبحت الطرق المؤدية إلى مكة كلها مسدودة من قبل القوات السعودية ،ولم تستطع قوات الشريف غالب من التصدي لها ومنيت بخسائر كبيرة ، ثم وصلت القوات إلى مكة ."أدرك الشريف غالب أنه لم يعد في أمكانه الوقوف أمام قوة الدرعية، فأرسل يطلب الصلح ، وقبل أن يبقى في أمارته تابعا للدولة السعودية الأولى منفذا لأنظمتها ، وتم الصلح بين الطرفين وعلى أثره دخلت القوات السعودية مكة وفتحت الطرق المؤدية إليها وعادت حالتها الاقتصادية إلى سابق عهدها، وبهذا دخلت المدينة المنورة كذلك عام (١٢٢٠هـ-١٨٠٥م)"[٣] وبذلك تكون الدولة السعودية الأولى قد وضعت نهاية للحكم العثماني في الحجاز.

---

(١) غالب: محمد اديب، من اخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي، ط١، ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م، دار اليمامة للبحوث والترجمة ،الرياض، ص١٠٠.

* هو عبدالوهاب بن عامر المتحمي الملقب بأبي نقطة من بني رفيدة من قبيلة عسير، تولى مشيخة عسير بدل أخيه محمد، لقد نشر الدعوة السلفية ونفوذ الدولة السعودية في عسير والقبائل المجاورة. والمخلاف السليماني واليمن والحجاز. خير الدين الزركلي، الأعلام ، ج٤، ص١٨٣.

*ماء السعدية : الماء المعروف قرب سيف البحر الأحمر ، بينه وبين مكة يوم ونصف.

(٢) ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١٧٣؛ آل الشيخ: عبدالرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، المقامات، ص١٠١؛ عبدالرحيم :عبدالرحمن تاريخ الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق ، ص١٥٧.

(٣) ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١٧٤؛ بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ االوهابيين، مصدر سابق، ص٩٣؛ عبدالرحيم :عبدالرحمن تاريخ الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق ، ص١٥٧.

الفصل الأول
أسباب المعركة

المبحث الأول :

الأسباب الدينية

المبحث الثاني :

الأسباب السياسية

المبحث الثالث :

الأسباب الإقتصادية

• الفصل الأول /أسباب المعركة:

المبحث الأول : الأسباب الدينية:

لقد وصلت أخبار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الخلافة العثمانية في وقت مبكر حيث يقول ابن بشر: "وصلت أخبار ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد إلى الدولة العثمانية منذ زمن مبكر من تاريخها ،فقد أرسل شريف مكة مسعود بن سعيد* إلى الدولة العثمانية يخبرها بظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب سنة (١١٦٣هـ/١٧٥٠م).[١]"

لذلك كان أول اتصال مع السعوديين من خلال ولاة الحجاز في (١١٨٥هـ/١٧٧١م)[٢]، الذين انتقلت إليهم أخبار الدعوة مع التجار وكذلك الحجاج النجديين ؛ ويبدو أن اشراف مكة المكرمة بعد أن وصلتهم أخبار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أرادوا التعرف على هذه الدعوة ولذلك نجد المؤرخ ابن غنام يقول:" أرسل الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير عبدالعزيز إلى وإلى مكة الشريف أحمد سعيد* هدايا، وكان قد كتب لهما وطلب منهما أن يرسلا إليه فقيهاً وعالماً من جماعتهما يبين حقيقة ما يدعون إليه من الدين، ويناظر علماء مكة، فأرسلوا إليه الشيخ عبدالعزيز الحصين، و معه رسالة.[٣]"

ولما وصل المبعوث الشيخ عبدالعزيز الحصين*إلى مكة المكرمة التقى بالشريف أحمد سعيد واجتمع كذلك مع بعض علماء مكة عند الشريف أحمد وتمت المناظرة، ثم رجع منصرفاً لبلاده نجد مبجلاً معززاً.

وبعد ذلك في سنة (١١٩٧هـ/١٧٨٢م)[٤] أرسل الإمام عبدالعزيز خيلاً وإبلاً كهدايا إلى

---

* مسعود بن سعيد الشريف: تولى شرافة مكة ١١٤٦هـ وبقي في منصبه ثمانية عشرعاماً إلى أن توفي سنة ١١٦٥هـ. جارشلي: إسماعيل حقي،أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني، ط١، ٢٠٠٣م، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ص١٧٨؛ آل الشيخ: عبدالرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، المقامات، ص٩٧.

* أحمد سعيد الشريف: تولى شرافة مكة بعد أخيه مسعود ١١٨٤هـ ،أحمد السباعي، تاريخ مكة، ج١، ص٢١١.

(١) ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق، ص٢٩؛ القحطاني : فاطمة بنت حسين ، حملة إبراهيم باشا على الدرعية سقوطها ، مرجع سابق، ص٤٧.

(٢) ابن غنام :الشيخ حسين ،تاريخ نجد، مصدرسابق، ص١٣٥؛ عبدالرحيم : عبدالرحيم عبدالرحمن تاريخ الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق ، ص١٣٥؛ الحلواني : سعد بدير ، العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن١٩ ، مصدر سابق ، ص٧.

(٣) مصدر نفسه ، ابن غنام، ص١٣٦؛ عبدالرحيم : عبدالرحيم عبدالرحمن، تاريخ الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق ، ص١٣٨.

(٤) مصدر نفسه ، ابن غنام، ص١٥٨.

شريف مكة ، واستأذنه في أن يؤدي أهل نجد فريضة الحج ،فأذن لهم بذلك؛ فحج في تلك السنة منهم ثلاثمائة رجل.

وحين ولي على شرافة مكة الشريف غالب*، أرسل الشريف غالب كتاباً إلى الإمام عبدالعزيز بن محمد ذكر فيه أنه يريد رجلاً عارفاً من أهل الدين يعرفه حقيقة الأمر ويكون على بصيرة فيه فأرسل إليه الشيخ عبد العزيز الحصين.

وهنا يقول ابن غنام : "فلما قدم عبدالعزيز الحصين مكة المشرفة ، فأكرمه غالب، واجتمع معه مرات، وعرض عليه رسالة الشيخ، عرف ما بها من الحق والهدى، فأذعن لذلك واقر به، ولكنه بعد زمن أبى وكفر وتمسك بقديم سنته."(١) ويبدو أن الشريف غالب اقتنع في بعض أمور الدعوة لولا ما قاله علماء مكة أن هؤلاء الجماعة ويقصدون أهل نجد ، ليس عندهم بضاعة إلا إزالة نهج أبائك وأجدادك ، ورفع يدك عما يصل اليك من خير بلادك يقصدون مكة وتوابعها ، ويرجع سبب ذلك لخوفهم من تعارض مصالحهم الاقتصادية والمكانة الدينية التي يمكن أن يحتلها علماء نجد بعد ذلك عند الشريف غالب ، وميل بعضهم للبدع والخرافات. "لقد استأذن أهل نجد في الحج من الشريف غالب فأبى فقامت الحرب بينهم وبين آل سعود (١٢٠٤هـ/١٧٨٩م)"(٢).

يذكر المؤرخ أحمد زيني دحلان :"فلما تولى مولانا الشريف غالب استأذنوه في الحج فمنعهم وتهددهم بالركوب عليهم وأتبع القول بالفعل.(٣)*

يبدو من خلال ما سبق أن المفاوضات بين الأشراف والسعوديون انتهت بالفشل في الحجاز ولم تجعلهم يتقبلون (الدعوة السلفية) أو السماح للنجديين بالحج الذي يعد الركن الخامس من أركان الإسلام ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل قام الأشراف بتشويه الدعوة السلفية (٤)،

---

*غالب بن مساعد بن زيد ولي شرافة مكة سنة (١٢٠٢-١٢٢٨هـ/١٧٨٨-١٨١٣م) ، بريدجز :هارفرد جونز، ط١، ١٤٢٥، ترجمة/عويضة بن متيريك الجهني ، دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض ،ص١٠١.

(١) ابن غنام ، تاريخ نجد، مصدر سابق ،ص٧٣.

(٢) البتنوني : محمد لبيب ، الرحلة الحجازية ، ط٢ ، ١٣٢٩هـ ، الجمالية ، القاهرة ، ص٨٧؛ آل الشيخ: عبدالرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، المقامات، ص٩٧.

(٣) دحلان : أحمد زيني ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، ط١، ١٣٠٥هـ ، مصر، ص٢٦١؛ آل الشيخ: عبدالرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، المقامات، ص٩٨.

* انظر الحملات العسكرية بين العثمانيين والسعوديين عن طريق ولاة الحجاز ص١٣.

(٤) عبدالرحيم : عبدالرحيم عبدالرحمن ،الدولة السعودية الأولى ، مصدر سابق ،ص١٣٤.

وقذفوها بأبشع التهم، تارة بالكفر، وتارة أخرى بالخوارج، وأنهم ابتدعوا ديناً جديداً ، وأصبح أشراف مكة خصوماً للدعوة السلفية .

قال الالوسي الدعوة السلفية هي" مذهب أهل السنة والجماعة، وأن طريقتهم طريقة السلف التي هي طريق الإسلام ،بل الأحكم ، وهي أنهم يقرون آيات الصفات والأحاديث على ظاهرها ويكلون معناها إلى الله تعالي كما قال الإمام مالك في الاستواء ، والخير والشر كله بمشيئة الله تعالي"[1].

ويبدوا أن انتشار البدع والخرافات والطرق الصوفية وما يتبعها من مظاهر خاصة عند قدوم الحجاج للحج، وما يتبعه من مظاهر تخالف الشريعة الإسلامية مثل آلات العزف والغناء المصاحبة لقوافل الحجاج والمحمل (خاصة المحمل المصري والمحمل* الشامي) ، الذي يعتبره أتباع الدعوة السلفية من الأمور المخالفة للإسلام التي يحاربها السعوديون .

حيث نلاحظ الإمام سعود بن عبدالعزيز كتب إلى السلطان العثماني يطلب منه أن يمنع ولاته من إرسال المحمل ، الذي تصاحبه عادة الطبول والمزامير ، لمخالفتها لمقاصد الحج فاعتبرها السلطان العثماني إهانة له مما أثار غضبه فأرسل السلطان (مصطفى الرابع)* فرماناً من الباب العالي بتكليف وإلى مصر محمد علي باشا* بإرسال حملات عسكرية من مصر إلى الحجاز وكان ذلك بتاريخ ٨ شوال عام (١٢٢٢هـ-١٨٠٧م)[2] .

ويذكر عن هذه الحادثة الحسن بن أحمد الضمدي حيث قال:"وتخلف المحمل الشامي والمحمل

---

(١) الآلوسي: السيد محمود شكري، تاريخ نجد، حققه/محمد بهجة الاثري، مكتبة المدبولي، القاهرة، ص٤٥.

(٢) دار الوثائق القومية- القاهرة، دفتر رقم(١) معية تركي، ، محفظة (٥)، وثيقة رقم (١)، ٨شوال ١٢٢٢هـ، من موسى باشا نائب السلطان إلى محمد علي.انظر الملحق، ص٨٦؛ بوركهارت: مواد التاريخ الوهابيين، مصدر سابق، ص١٠٢.

* هو السلطان العثماني والده عبدالحميد الاول عاش بين عامي(١٧٧٩-١٨٠٨م) تولى الإمبراطورية العثمانية بعد ثورة الإنكشارية على السلطان سليم الثالث (١٢٢٢-١٢٢٣هـ/١٨٠٧-١٨٠٨م) . خير الدين الزركلي، الأعلام ، ج٤، ص١٣٢.

* المحمل في الأصل هو الهودج الذي تضعه العرب فوق الجمل لتركبه النساء في السفر والحرب. ثم أصبح صندوقاً خشبياً مزركشاً بأقمشة وستائر، ويسير هذا الهودج في مقدمة قافلة الحج، ويوضع فيه الهدايا المرسلة إلى الكعبة وكسوتها، وأول من أرسل المحمل الظاهر بيبرس. القحطاني: فاطمة، حملة أبراهيم باشا على الدرعية سقوطها، ص٥٥.

* محمد علي باشا: ابن إبراهيم أغا بن علي، ألباني الأصل ولد في قولة سنة ١١٨٤هـ كان يعمل في تجارة التبغ، وقد جاء إلى مصر مع الجيش العثماني لإخراج الفرنسيين عام ١٢١٦هـ، وصل لحكم مصر عام ١٢٢٠هـ وستمر على حكمها إلى عام ١٢٦٤هـ. الزركلي، الأعلام، ج٦، مصدر سابق، ص٢٩٨. انظر صورة رقم (٧) ص٨٤.

المصري عن الحج بسبب منع الأمير سعود لهم ، وبذلك كان انفتاح السلطنة عليه"[١].

أن من أهم الأسباب التي أثارت غضب السلطان العثماني وأزعجته هي مسألة خروج وزوال السيادة العثمانية عن الحرمين الشريفين من حوزته، ومنع الدعاء[٢] له وكذلك عدم قدرته تسيير قوافل الحجاج بالمحمل الذي يرغب به رعاياه، بالإضافة إلى مهاجمة السعوديين للولايات التابعة له وأثر ذلك على سمعته وهيبته في العالم الإسلامي، فعليه أن يستعيدها بعد فشل ولاته في العراق والشام والحجاز .

حيت لم تبدأ أولى الحملات من مصر إلا في تاريخ١٩ رجب سنة(١٢٢٦هـ- ٨ أغسطس١٨١١م)[٣] حيث وصلت إلى ميناء ينبع وانطلقت من هناك إلى داخل شبه الجزيرة العربية.

(١) الضمدي: الحسن بن أحمد ، الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني، حققه/أ.د:إسماعيل بن محمد البشري ،١٤٢٤ ، دارة ألملك عبدالعزيز ،الرياض ، ص ١٢٥.

(٢) بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين، مصدر سابق، ص١٠١؛ آل الشيخ: عبدالرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، المقامات، ص١٠١؛ الحمودي: عبدالرحمن بن محمد، الدبلوماسية والمراسم السعودية، ط١، ج١، ١٤٢٠هـ ، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، ص١٢٢.

(٣) الحلواني : سعد بدير ، العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن١٩ ، مصدر سابق ، ص٤١.

• المبحث الثاني/ الأسباب السياسية :

لقد شعرت الدولة العثمانية بخطورة الدولة السعودية[١]، بعد نجاحها في دخول الحجاز وخروجه من يدها ، أو بمعنى آخر خروج الحرمين الشريفين مما أفقدها الزعامة التي تتمتع بها على العالم الإسلامي بحكم إشرافها على هذين الحرمين الشريفين في وقت كانت قد بدأت تسعى فيه إلى التغلب على عوامل الضعف الداخلية وتقوية الصلات بينها وبين أنحاء العالم الإسلامي باعتبارها مركز الخلافة الإسلامية. لذلك اتجهت الدولة العثمانية لمحاربة الدولة السعودية الأولى عن طريق واليها على مصر محمد علي باشا الذي أرسل جيشه إلى الحجاز ، وسافر إلى هناك بنفسه وظل جيشه يقاوم السعوديين إلى أن انتصر عليهم ، ومن ناحية أخرى ، نشطت الدعوة العثمانية في جميع أنحاء العالم الإسلامي ضد هذه الحركة ، واتهمت السعوديين بالكفر والخروج على طاعة الخليفة تهيئة وتوطئة لمحاربة الدولة السعودية الأولى.

لأن الحجاز كان يتبع أدارياً لوالي مصر الأن الحكم الحقيقي كان للاشراف، الذين كان كبارهم يختارون واحداً منهم لتولي منصب الإمارة ثم يقوم والي مصر بتأييد هذا الطلب لدى السلطان العثماني فيصدر فرماناً من السلطان العثماني فيما بعد بذلك[٢] كان من الطبيعي أن يتجه نظر السلطان العثماني إلى والي مصر بعد فشل ولاة بغداد والشام في القضاء على الدولة السعودية الأولى لقربها من الحجاز[٣].

"نظراً لثقة العثمانيين بولاة مصر من ناحية ولقربهم من الحجاز، وبُعد عاصمة العثمانيين عنها من ناحية أخرى. فأن الدولة العثمانية أقرت بتبعية الحجاز واليمن وباشاوية الحبشة لمصر إداريا"[٤].

"وكان الباب العالي قد أصدر بياناً أعلن فيه بأن مصر هي باب المدينتين المقدستين مكة والمدينة "[٥]. والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية كانت قد عزمت القضاء على الدولة السعودية

---

(١) الحمودي: عبدالرحمن بن محمد، الدبلوماسية والمراسم السعودية، مصدر سابق، ص١٢٢.

(٢) عبدالرحيم : عبدالرحيم عبدالرحمن ،الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق ،ص١٢٩.

(٣) الحلواني : سعد بدير ، العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن١٩، مصدر سابق ، ص٥.

(٤) الجبرتي: عبدالرحمن حسن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، ص٢١٢.

(٥) العقبي : أحمد بن حسين، التنافس الإنجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية القرن ١٣هـ-١٩م ،١٤٣٠ ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص ١٥٣ .

من خلال جيوش واقتصاد وطاقات ولاياتها العربية، وأن ولاية مصر ولاية كبيرة وإمكاناتها أكثر من إمكانات الولايات العربية العثمانية الأخرى، كما أن مصر لها تجارب سياسية وإدارية وعسكرية واقتصادية مع الحجاز، ولم تكن هذه التجارب وليدة فترة بسيطة بل هي من حقب متعددة ومتعاقبة في التاريخ.

كما أن الدولة العثمانية كانت ترى في التكليف السلطاني لمحمد علي باشا اختباراً له إن اجتازه كان خيراً له، وإن فشل في ذلك ثبت عجزه وعدم صلاحيته لتولي قيادة ولاية مصر أكبر الولايات العربية العثمانية.

وهناك بعض أراء القائلة بأن تكليف محمد علي باشا للقيام بهذه المهمة ما هو إلا من أجل إضعافه وبقائه والياً مطيعاً للدولة، وهي بذلك تضرب عصفورين بحجر واحد؛ فإذا لم تصب كلتا الحسنيين فلا تعدم إحداهما إضعاف محمد علي باشا وإضعاف الدولة السعودية الأولى والقضاء عليها ،وهذا هو المراد والمطلب ،كما أن هذا التكليف سبب يعزز الثقة التي وضعتها الدولة العثمانية في شخص محمد علي باشا .

قد وافق هذا الأمر السلطاني هوى محمد علي باشا لأنه وجد فيه ما يساعده على تعزيز نفوذه في مصر حيث كان يواجه معارضه في حكمه لمصر. كما أن هذا الأمر فتح الطريق أمام محمد علي لكي يفكر في توسيع نفوذه وبسط سيطرته على الحجاز وشبه الجزيرة العربية وهذا سيرفع مكانته عند السلطان العثماني والعالم الإسلامي وشرف له كونه حامي حمى الحرمين الشريفين."وأن التكليف بالحرب من ناحية محمد علي مفيد، وفائدته للتخلص من القادة المتعبين لحكمه، والأفراد المسببين القلاقل له في حكمه، والذين يشعر بأنهم خطر يهدد مركزه في مصر مثل القادة الضباط الألبان والأرناءوط"[1]*. إن هذا التكليف كان فيه ما يفيد محمد علي ولو فائدة معنوية أكثر منها ماديه، فهو مضمار لتدريب جيشه على الحروب خارج مصر بخاصة حروب الصحراء.

يقول هارفورد جونز في كتابه موجز التاريخ الوهابي:" كان قلق العثمانيين كبيراً جراء

---

(١) الحلواني : سعد بدير ، العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن١٩ ، مصدر سابق ،ص٤٠.

* الألبان: الألبان هم سكان أحد مقاطعة العتمانيين وألبانيا دولة الآن جوار اليونان.

*الأرناءوط: الأرناءوط هم سكان مقاطعة ألبانيا المقدونيين (بلاد البلقان) على البحر الأردرياتيك الحدود اليونانية. عبدالرحيم: عبدالرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق، ص٣٢١.

تطلعات إمبراطورية الدرعية ، خصوصاً بعد رحيل مؤسسها محمد بن سعود ، وتولي نجلهالإمام عبدالعزيز الإمارة والذي أبدى استعداداً منقطع النظير للسير قدماً في مشروع الهيمنة على المنطقة برمتها"[1].

"فالحرب ضد الدولة السعودية الأولى كانت وسيلة لتوطيد مركز محمد علي، كما أنها سبيل لرفع شأن مصر، وإعلاء مكانتها، وتمهيداً لتتبوأ المركز الذي نالته ما بعد عهد محمد علي باشا بين دول المنطقة. وأغلب الظن أن فكرة الانفصال عن تركيا وتحقيق استقلال مصر قد بدأت تملك عليه مشاعره من ذلك العهد ، وأنه أخذ يعمل لها عن طريق الفتح والحرب ، وليس ثمة حرب تعلي مكانة مصر وتنلها مركزاً ممتازاً وتكسبها عطف الشرق والعالم الإسلامي مثل الحرب الحجازية ، فقد كان الغرض منها إنقاذ الحرمين الشريفين من حكم فرقة الوهابية ، وتجديد ما بين الأمم الإسلامية من الصلات الأدبية والاقتصادية، وإعادة مناسك الحج وتأمين السبل للحجاج الذين يأتون كل عام من مشارق الأرض ومغاربها [2].

ومن هنا نلاحظ أن محمد علي باشا من خلال الحرب على الدولة السعودية الأولى كان يسعى إلى الانفصال عن الدولة العثمانية ويستأثر في حكم مصر لصالحه وصالح ابنائه من بعده ويكون إمبراطورية خاصة تبدأ من مصر ويعمل على اتساعها من شبه الجزيرة العربية على حساب الدولة السعودية الأولى .

"إن محمد علي قد خاض غمار الحرب على الدولة السعودية الأولى لا لمصلحة الدولة العثمانية ، بل تثبيتاً لمركزه ، وإعلاءاً لشأن مصر، وقد حققت الأيام صدق نظره، إذ عظمت منزلته أمام السلطان العثماني خلال الحرب الوهابية وبعد انتهائها، وعلت بذلك مكانة مصر الحربية والسياسية، وامتدت سلطتها إلى شبه الجزيرة العربية، وانبسطت رقعتها واتسعت حدودها، فإن الجيوش المصرية التي جردها محمد علي لحرب الوهابية لم تنسحب منها بعد كسر الوهابيين، بل ظلت تحتلها وأخذت الحكومة المصرية تبسط سلطاتها في أصقاع شبه الجزيرة العربية وتنصب لها الحكام وقواد الجند، كما أن السلطان كافأ محمد علي بإسناد مشيخة الحرم

---

(١) بريدجز :هارفرد جونز، موجز التاريخ الوهابي،ط ١٤٢٥هـ، ترجمة/عويضة بن متيريك الجهني، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ،ص٢٥.

(٢) الرافعي: عبدالرحمن ، عصر محمد علي، مصدر سابق ، ص ١٢٠.

المكي الشريف، وولاية جدة إلى ابنه إبراهيم*، فاتسع فعلاً نطاق مصر، وضمت إليها بلاد الحجاز وعسير وجزءاً من اليمن، ثم وصلت سيادتها إلى شاطئ الخليج العربي، أي أن نفوذ مصر قد امتد إلى معظم شبه الجزيرة العربية"(١).

أثبتت الأيام القادمة أن محمد علي باشا كان يهدف إلى توسيع ممتلكاته وإن كانت تخدم السلطان العثماني بصورة مباشرة وغير مباشرة، ودليل ذلك أنه حين أسقط الدرعية توجه إلى جنوب شبه الجزيرة العربية وضم اليمن، وكذلك توجه بعدها إلى الأحساء ووصل إلى الخليج العربي ، وبعد انتهاء الحرب لم يسلمها إلى السلطان العثماني بل استأثرها لنفسه ولأبنائه، فهو محرر الحرمين الشريفين من السعوديين .

إن محمد علي كان يسعى إلى الشهرة وكسب الألقاب مثل علي بيك الكبير* حين سماه شريف مكة بلقب (سلطان مصر وخاقان البحرين)(٢).

"نلاحظ هنا أن الدولة العثمانية كانت تريد تسيير قوات محمد علي باشا بأي ثمن إلى شبه الجزيرة العربية. وأن محمد علي باشا كان قد استغل هذه المهمة من أجل تثبيت سلطته في داخل ولايته من جهة، ومطالبته بتوسيع نفوذه على حساب ولاية الشام من جهة أخرى. وهذه ملامح تعطينا صورة واضحة عن أطماع محمد علي باشا منذ بداية ظهوره على المسرح السياسي"(٣).

كما نلاحظ أن الوضع في الحجاز كان مهيأ لنجاح حملة محمد علي باشا حيث إن الشريف غالب لم ينضم للدولة السعودية عن قناعة ورضا، وكان يتطلع إلى اليوم الذي يتخلص فيه من

---

* إبراهيم باشا: الابن الأكبر لمحمد علي باشا، ولد سنة ١٢٠٤هـ، تنازل له والده عن الحكم سنة ١٢٦٤هـ، قاد الحملة الثانية على السعوديين. القحطاني: فاطمة، حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها، ص٧٤.انظر صورة رقم(٥)ص٨٥.

* علي بيك الكبير: هو أحد حكام ولاية مصر أسقط حكمه الفرنسيين بحملتهم على مصر. الرافعي: عبدالرحمن ، عصر محمد علي، ص٢٨٧.

(١) العيدروس: محمد حسن،تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية، الكويت، ص ٥٣-٥٤.

(٢) السيد: فرج ، حروب محمد علي ، ١٩٩٩، مطبعة التوكل بالجمانية ،القاهرة، ص٤٧.

(٣) بوركهارت : مواد التاريخ الوهابيين ، مصدر سابق، ص٦٤؛ أبو علية :عبدالفتاح حسن محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى ،ط٢ ،١٤١١هـ-١٩٩١م، دار المريخ للنشر ،الرياض، ص٦٧.

السعوديين وكان ذلك واضحاً من مراسلاته السرية[1] للسلطان ومحمد علي باشا . وكذلك كان انقطاع الحجاج من الولايات العثمانية الغنية قد أضر بالتجار الحجازيين، وكذلك أضر بزعماء القبائل الذين كانوا يأخذون إتاوات من قوافل الحجاج المارة بديارهم، ولذلك فإن الفئات التي لها النفوذ في المجتمع الحجازي كانت توافق زعامتها السياسية في مشاعر نحو الحكم السعودي.

(١) دار الوثائق القومية– القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة(٦٦)، وثيقة رقم(٦)، ٢٥ ربيع الآخر ١٢٢٦هـ. انظر ملحق الوثائق ص٩٣.

• **المبحث الثالث / الأسباب الإقتصادية :**

لقد استلم محمد علي باشا زمام الأمور في مصر بعد صراع على السلطة من قبل المماليك وكذلك الأتراك، وكان ذلك عن طريق إرادة الشعب في مصر حيث رشحه للحكم الأعيان والمشايخ، لأن محمد علي باشا التزم الحياد بعد خروج الفرنسيين من مصر ، فطلبوا منه أن يتولى حكم مصر بإيعاز منه كان مبطناً، فأرسلوا إلى السلطان يطالبون توليته، وأذعن لهم السلطان لضعف سلطته ولتوقعه أنه باستطاعته بعد أن تهدأ الأمور في مصر أن يخلعه من سلطته، ودعمه في البلاط السلطاني الفرنسيون، بالاضافة إلى قدرة محمد على على رشوة البلاط في الأستانة، فأرسل السلطان فرماناً بتعيينه والياً على مصر، فكان جديراً بذلك المنصب الذي نقل مصر إلى الرفعة والسمو.

لقد اعتذر محمد علي باشا في بادئ الأمر متعللاً بظروف ولايته الاقتصادية خاصة في أعقاب ما حصل لمصر من حروب وكذلك انخفاض فيضان النيل واستيلاء المماليك على الصعيد وتعلل كذلك أيضاً بمخاوفه من أطماع الدول الأوربية غزو مصر.

حين تولى محمد علي باشا ولاية مصر، كان الجند الأتراك والدلاة* والأرناؤوط [1] ذو شغب أثر على الحياة العامة في مصر، فاجتمع محمد علي باشا مع الأعيان وطلب منهم إذا أرادوا خروج الجند من مصر أن يدفع لهم مرتباتهم المتأخرة، وأن خزينة مصر خاوية ويريد فرض ضريبة حتى يتمكن من إخراج الجنود من مصر وسفرهم فارتضوا ذلك الاقتراح لأن الحرب وويلاتها كلفتهم الكثير، وأن الحملة الفرنسية على مصر والحرب التي كانت دائرة رحاها مع المماليك قد استنزفت مواردها الاقتصادية عدة أعوام، وكذلك الاحتلال الفرنسي الذي نهب مدخراتها وخيراتها وقام بتصدير ثرواتها إلى فرنسا جعل الاقتصاد المصري منهكاً، وبعد خروج الفرنسيين بدأ الإنجليز بغزو الإسكندرية(١٢٢٢هـ-١٨٠٧م)[2] مما زاد في إرهاق الاقتصاد المصري، فكان أمر الباب العالي بالحرب على الوهابيين لوالي مصر محمد علي باشا وفرض

---

(١) الجبرتي: عبدالرحمن حسن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ،ج٣، ص٢٥٢؛ السيد: فرج ، حروب محمد علي ، مصدر سابق ،القاهرة، ص٤٦.

* الدلاة: الدلاة فرقة عساكرية شرسة من الاكراد السوريين في الجيش العثماني. عبدالرحيم: عبدالرحيم عبدالرحمن ،الدولة السعودية الأولى ، ص٣٢١.

(٢) الرافعي: عبدالرحمن ، عصر محمد علي، مصدر سابق ، ص١٠٢؛ عباس : السيد أحمد مرسي ، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية، ١٤١٦هـ، دار الزهراء للنشر والتوزيع ،الرياض، ص٣٧.

الضرائب بمثابة منقذ لمصر، وكذلك لمحمد علي، حتى يطلب المساعدات المالية من السلطان بذريعة الحرب على السعوديين والتذرع بأن بعد المسافة بين مصر وشبه الجزيرة العربية مرهق، وأنه سوف يواجه دولة عجز عنها الولاة الآخرون، وأن مصر لا تستطيع الاستمرار دون وقوف السلطان إلى جانبها وتحتاج إلى تعزيز من السلطان وسخائه الذي أولى بعظمته الاهتمام بالقضية الحجازية.

بل إن محمد علي باشا لم يكتف بذلك بل استغل الأوامر السلطانية في محاربة السعوديين ليضغط على السلطان لأخذ موارد ولاية الشام ودفع ضريبة الحرب على حساب أي ولاية أخرى تعزز من اقتصاد مصر.

"إنما استغل محمد علي أوسع استغلال للحصول على إمدادات جديدة من السلطان متخذاً منها دليلاً على صعوبة المهمة التي أوكلها إليه السلطان ومن هم وراء السلطان، كما اتخذها ذريعة ، لفرض ضرائب جديدة للحصول على الأموال "[1] .

كما وجد محمد علي باشا في هذا الأمر فرصة لبسط هيمنته على البحر الأحمر واستغلال التجارة فيه كما هو معروف كطريق بحري تجاري هام يصل بين مصر وشبه الجزيرة العربية ويوجد به أحد المضايق الهامة (مضيق باب المندب) وإن البحر الأحمر معروف بأنه بحيرة إسلامية مغلقة لا يمكن التفريط به خوفاً على الأماكن المقدسة.

أضف إلى ذلك أن الحجاز مطمع كثير من الولاة لوجود ميناء جدة التجاري به والذي يعتبر بوابة شبه الجزيرة العربية التجاري، وأن جمارك الحج لها تأثير كمورد اقتصادي هام للدولة، مما جعل محمد علي يفكر فيه، ومعرفته بالتجارة حيث عمل بها.

يشير إلى ذلك العقبي في قوله:" يوجد في مدينة جدة أكثر من اثني عشرة مؤسسة تبلغ ثروتها من أربعين إلى خمسين ألف ليرة، وأن تجارة السويس كانت تعد جزءاً من تجارة جدة حيث توصف السويس بمخزن لتجارة جدة ومصر"[2].

---

(١) الغنام : سليمان، سياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية والسودان وإلبونان وسوريا(١٨١١م-١٨٤٠م)، ط١، ٢٠٠٤م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص ٤٥؛ عباس : السيد أحمد مرسي، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية، مصدر سابق، ص٣٨.

(٢) العقبي: أحمد بن حسين، التنافس الإنجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية القرن ١٣هـ-١٩م، مصدر سابق، ص١٥٧.

ويذكر د: محمد رفعت "من الناحية الاقتصادية أصبح محمد علي باشا أكبر تاجر في بلده. كما اتخذ العديد من الإجراءات لتشجيع التجارة، وبنى موانئ جديدة، كما أنشأ في بعض ضياعه ورشاً ومصانع يدوية كبيرة الحجم نوعاً، وأقام مصنعاً للبارود وآخر لسبك المدافع"[١] .

كذلك كانت الحملة هدفاً لإطلاق حكومة محمد علي باشا في فرض ما تشاء من الضرائب والإتاوات على الشعب المصري وإن هذا أمر من السلطان العثماني، وأنها جهاد ديني لاسترداد الأراضي المقدسة من الدولة السعودية.

"كانت الحملة هذه ذريعة لإطلاق يد الحكومة في فرض ما تشاء من الضرائب والإتاوات من غير أن يجد الشعب مسوغاً للاعتراض عليها، فإن حجة محمد علي فيما فرضه من مال لإنفاقه على حرب مقدسة ترمي إلى استرداد الحرمين الشريفين وتأمين سبل الحج"[٢].

حين بدأ محمد علي باشا عزمه على المسير إلى الحجاز وتسيير قواته قام ببناء السفن و دوننمة* لنقل المؤن والذخيرة والجنود[٣]، فبدأ بإنشاء مصنعاً للسفن في ميناء السويس وجلب الأخشاب من جميع مناطق الدولة العثمانية بأمر من السلطان، "فلقد جلب في زمن يسير من موانئ بلاد الترك الأخشاب والحبال والحديد وكل ما يستلزم بناء السفن "[٤] . فبنى ثماني وعشرين[٥] سفينة في وقت قياسي لتحرك قواته عن طريق البحر من السويس إلى ينبع.

إن محمد علي باشا من عام (١٢٢٢هـ-١٨٠٨م) حين صدرت الأوامر السلطانية له وهو يبحث مع مستشاريه وأعيان مصر عن طريقة لتسيير حملته إلى الأراضي الحجازية، وكما أسلفت كان اقتصاده منهار حيث طلب معونة نقدية وأسلحة وذخيرة، نقرؤها في الرسالة إلى الصدر الأعظم "طلب فيها محمد علي معونة نقدية قدرها عشرة آلاف كيس، ومهمات عسكرية، لأن

---

(١) عبدالعزيز: محمد رفعت ، الجيش المصري وحروب الشام الأولى١٢٤٧-١٢٤٨هـ دراسة في ضوء وثائق عابدين، ط١، ١٩٩٩م، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ص ٦.

* دوننمة: سفن تعمل لتحميل البضائع متوسطة الحجم تسير بالاشرعة، موجودة في البحر الأحمر . السيد: فرج ، حروب محمد علي ، مصدر سابق ،القاهرة، ص٧٠.

(٢) الرافعي: عبدالرحمن، عصر محمد علي، مصدر سابق ، ص ١٢١.

(٣) دار الوثائق المصرية، وثائق معية تركي، دفتر رقم (١)، محفظة(٥٧) وثيقة رقم (١)، غرةمحرم ١٢٢٦هـ، انظر ملحق الوثائق، ص٨٨.

(٤) جوان : إدوارد، مصر في القرن التاسع عشر، ط١، ١٣٤٠هـ، د٠ن، القاهرة، تعريب/محمد مسعود، ص٤٤٥.

(٥) بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ االوهابيين، مصدر سابق، ص١١٠.

معللاً طلبه هذا بأن أراضى مصر لم تنتج المحصول المنتظر بسبب انخفاض فيضان النيل ووقوع الصعيد تحت سيطرة المماليك"[١] .

كما "أرسل يطلب من الباب العالي لوازم ستة أشهر للجيش، وهدايا وخلع للعربان، لعدم توفرها في مصر، قدرت بما ينوف عن سبعة وستين ألف من الجنيهات، بالإضافة إلى طلبه مدافع ومهمات للسفن التي أنشئت في السويس"[٢]*.

كان من ابرز نتائج دخول الحجاز تحت السيادة السعودية :

- فقد السلطان العثماني لقب مسمى حامي أو خادم الحرمين الشريفين الذي كان يعتز به لدى العالم الإسلامي.
- منع السعوديين محامل الحجاج القادمة من أقطار الدولة العثمانية بعد أن كتب الإمام سعود بن عبدالعزيز إلى السلطان العثماني يطلب منه أن يمنع ولاته من إرسال المحمل الذي تصاحبه عادة الطبول والمزامير، لمخالفتها لمقاصد الحج .
- خشية الدولة العثمانية من امتداد النفوذ السعودي ودعوتها الإصلاحية إلى مناطق هامة من الإمبراطورية العثمانية.

إن هذه الأسباب بمجملها جعلت السلطان العثماني(مصطفى الرابع) يصدر أوامره عام (١٢٢٢هـ-١٨٠٧م)[٣] لواليه في مصر محمد علي باشا أدى إرسال حملات عسكرية من مصر إلى الحجاز ومحاربة السعوديين .

---

(١) الجبرتي: عبدالرحمن حسن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣ ، ص٣٨٦؛ عباس : السيد أحمد مرسي، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية ،١٤١٦هـ، دار الزهراء للنشر والتوزيع ،الرياض ص٣٧.

(٢) فيناتي: جيوفاني، حياته ومغامراته في جزيرة العرب في عام ١٢٢٦هـ/١٨١١م، ط١، ١٤٣٣هـ، دار بلاد العرب للنشر، الرياض، ترجمه/ دار بلاد العرب للنشر، قدم/ محمد بن عبدالله آل زلفة، ص١٠٣؛ عبدالرحيم :عبدالرحمن تاريخ الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق ، ص٣١١.

* السويس أكبر مدينة بحرية مصرية تقع في شمال البحر الأحمر في البر المصري وهي ميناء تجاري قديم كانت تسمى القلزم. اكوبيديا الموسوعة الحرة الشبكة العنكبوتيه.

(٣) دار الوثائق المصرية، وثائق معية تركي، دفتر رقم (١)، محفظة(٥) وثيقة رقم (١)، ٨ شوال ١٢٢٢هـ، انظر ملحق الوثائق، ص٨٧؛ بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ االوهابيين، مصدر سابق، ص١٠٩.

الفصل الثاني:
أحداث المعركة

المبحث الأول :

الخطة العسكرية للجيشين

أولاً/ خطة الجيش المصري

ثانياً/ خطة الجيش السعودي

المبحث الثاني :

موقع المعركة

نبذة تاريخية

جغرافية عن وادي

المبحث الثالث :

سير المعركة

الفصل الثاني : أحداث المعركة:

المبحث الأول : الخطة العسكرية للجيشين :

أيقن السلطان محمود الثاني في نهاية الأمر أن مهمة استخلاص الحرمين من يد السعوديين لن يستطيع القيام بها سوى والي مصر، فقد نظر السلطان بأن مصر ولاية كبيرة ذات إمكانات عالية، إضافة كون الحجاز كان مرتبطاً بولاية مصر إدارياً وعسكرياً واقتصادياً عبر علاقات تاريخية طويلة ذات جذور ممتدة لقرون.

أولا/ خطة الجيش المصري والاستعدادات المصرية للحرب:

كان محمد علي باشا خلال سنتي (١٢١٧-١٢١٨هـ/١٨٠٢-١٨٠٣م) القائد العسكري الذي مارس كل التكتيكات والخطط العسكرية ضد نفوذ البقية الباقية من المماليك، ومن خلالها اثبت براعته الخاصة في القيادة والتخلص منهم، وبعد تعيينه والياً على مصر سنة (١٢١٩هـ-١٨٠٤م) كانت المهمة الثانية له التي ألقاها الباب العالي على عاتقه حرب السعوديين، وهي المهمة الأولى له خارج مصر، حيث صدر الفرمان السلطاني سنة (١٢٢٢هـ-١٨٠٧م)[١] بأن يستعيد البلاد المقدسة من السعوديين، فوافق على ذلك لأنه يعلم أن عدم طاعته للأوامر السلطانية سيكون عاقبته إبعاده من باشاوية او حكم مصر .

بدأ محمد علي باشا في نهاية سنة (١٢٢٤هـ-١٨٠٩م)[٢] يجهز بجدية لحملته، وكان في مقدمة الأمور الضرورية بناء أسطول بحري خاص به حتى يستطيع من خلاله نقل الجند والمؤن الحربية من ذخيرة وأسلحة ومدافع وعتاد وغذاء. ولم يأت منتصف عام(١٢٢٦هـ-١٨١١م)[٣] إلا وقد تم بناء وتجهيز الأسطول البحري المكون من ثمان وعشرين سفينة مختلفة الأحجام تتراوح حمولة الواحدة منها بين مائة ومائتين وخمسين طناً في ميناء السويس، حيث عمل حوالي ألف عامل من الأوربيين والمصريين في إنجاز ذلك الأسطول. وكانت الأخشاب والمعدات في بولاق

---

(١) بوركهارت : مواد التاريخ الوهابيين ، مصدر سابق، ص١١٠.

(٢) دار الوثائق القومية- القاهرة، دفتر(١) بحر برا، محفظة(٢٢)، وثيقة رقم(١)، ٢٣ محرم ١٢٢٥هـ. انظر ملحق الوثائق، ص٩٠؛ الجبرتي: عبدالرحمن حسن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣ ، مصدر سابق، ص٣٨٩؛ بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ االوهابيين، مصدر سابق، ص١٠٩.

(٣) دار الوثائق القومية- القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة(٦٥)، وثيقة رقم(٥)، غرة ربيع الأول١٢٢٦هـ. انظر ملحق الوثائق، ص٩٢؛ وثيقة رقم (١٢)، محفظة(٤٦)، غرة رمضان ١٢٢٥هـ. انظر ملحق الوثائق، ص٩٨.

بالقرب من القاهرة تجلب وتحمل على الإبل عبر الصحراء إلى ميناء (السويس)[١] .

لا شك أن الحملات العسكرية تتطلب أعمالا أخرى إضافية مثل المؤن والعتاد الحربي مثل الأسلحة والذخائر والمدافع الكبيرة التي جلبت من إسطنبول، وبنادق حديثة وذخيرة، وصواريخ الهاون[٢]، ولذلك الغرض بنيت المستودعات الكبيرة لتخزين هذه المؤن الحربية والغذائية مثل القمح والبسكويت وغيرها، كما وضع خزائن بها كميات من الأموال الكثيرة، وحيث وضع عليها مشرفاً مالياً يثق به يدعى (توماس كيت)*[٣]،حيث أنشئت في مينائي (السويس) و(القصير)* مخازن لهذا الغرض لقرب هذين المينائين الحجاز لتمويل الجيش[٤].

وبعد قيام محمد علي ببناء الأسطول البحري وتجهيزه المستودعات بدأ بتأمين الخط البري حيث تقتضي خطته على إرسال كتائب الفرسان عن طريق البر، لذلك عمل على ترميم القلاع (عجرود – نخلة – العقبة – المويلح – الوجه)* التي على طريق الحج ، فوضع بها حاميات معظم أفرادها من المشاة المغاربة المعتادين جيدا على التعامل مع البدو، وذلك يرجع لطبيعتهم المشابهة لأهل الجزيرة العربية، وأغدقت الهدايا على البادية الذين يعيشون جوار القلاع

---

(١) بوركهارت : مواد التاريخ الوهابيين ، مصدر سابق، ص١١٠؛ عباس : السيد أحمد مرسي ، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية ، مصدر سابق، ص٤٥.

(٢) دار الوثائق القومية– القاهرة، دفتر(١) بحر برا، محفظة(٢٦)، وثيقة رقم(٤)، ١٣ صفر ١٢٢٥هـ. انظر ملحق الوثائق، ص٩١.

* توماس كيت: أستكلندي الأصل أسره محمد علي صغيراً، كان من ضمن الحملة الفرنسية، وبعد احتلال المدينة المنورة ولاه محمد علي حاكماً لها.+الحلواني: سعد بدير، العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن١٩، مصدر سابق، ص٤٣.

* القصير : هذا الميناء الذي لم تكن له أهمية تذكر في بداية الحرب حيث أصبح بعد ذلك محطة تموين للحرب.

(٣) السيد: فرج ، حروب محمد علي ، مصدر سابق، ص ٥٠.

(٤) دار الوثائق القومية– القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة(٥٧)، وثيقة رقم(١)، غرة محرم ١٢٢٦هـ. انظر ملحق الوثائق، ص٨٨؛ الرجبي : خليل أحمد، تاريخ الوزير محمد علي باشا، ط١، ١٤١٧هـ، دار الافاق العربية، القاهرة، تحقيق/دانيال كريسيليوس وعبدالعزيز بدر ومحمد حسام الدين اسماعيل، ص١٣١؛ جوان : إدوارد، مصر في القرن التاسع عشر، مصدرسابق، ص٤٤٥.

* عجرود ونخلة : عجرود قلعة بجوار ميناء السويس . ونخلة كذلك قلعة في صحراء سيناء تبعد عن السويس ١٥٠كم.

* العقبة هي مدينة أردنية تقع على ساحل البحر الأحمر في أقصى جنوب الأردن، وهي ميناء الأردن الوحيد، وتقع على طريق الحج المصري.

* المويلح (النبك) تقع في شمال الحجاز على ساحل البحر الأحمر في وادي السر بالقرب من جبل شار،وهي من محطات الحجاج وعلى الطريق الحاج المصري، وبها قلعة عظيمة.

* الوجه : مدينة ساحلية تطل على البحر الأحمر يطلق عليها سابقا (الحوراء) تبعد عن ينبع ١٥٠كم٢.

المذكورة، وكذلك منها تأمين نقل المؤن الغذائية والحربية الخفيفة التابعة لكتائب الفرسان من القاهرة على إبلهم ووضعها في مستودعات تلك القلاع[1].

وقد اقتضت خطة محمد علي باشا الاتفاق مع الشريف غالب حيث جرت بينهما مكاتبات سرية[2] لتهيئة الجو مع بادية الحجاز واستمالتهم في حربه على السعوديين، وبأن تلك التجهيزات العظيمة لغزو الحجاز قد أنجزت، وقد أبدى الشريف غالب استعداده لحرب السعوديين مجرد ظهور الجيش العثماني على سواحل الحجاز. كما أمد محمد علي بمعلومات عن حالة السعوديين وقواتهم، وأن رغبة بادية الحجاز التخلص من النفوذ السعودي.

" لقد عهد محمد علي إلى سرّ تجار القاهرة، السيّد محمد المحروقي* ، الذي كان يتردد على مكة ومهتماً بتجارة البحر الأحمر، بالتوجيه السياسي للحرب وكل الترتيبات الضرورية مع بدو المنطقة. ولا شك أن للمحروقي دوراً كبيراً في النجاح النهائي لتلك الحملة حملة طوسون باشا*. وكان محمد علي ذا شخصية يسيطر عليها الشك، ولذلك لم يضع ثقة كبيرة في تأكيدات الشريف غالب الذي كانت مواهبه الذكية الماكرة مشهورة جداً. لكنه أصبح ضروريا أن يزيل مخاوفه كي يتقّبل غازياً أجنبيا. وكان أفضل الوعود التي وعده إياها محمد علي باشا بأن سلطته على الحجاز ستكون محترمة، وأن جمارك جدة المصدر الأساسي لدخله ستترك في يده، وقد تشجع الجنود الذين كانوا مهيئين للحملة، بتقارير أشيعت سراً بينهم تفيد بأن الشريف غالب سينضم إليهم بكل قوته عند وصولهم إلى الحجاز"[3]

ولم تكن حالة مصر بعدُ هادئة بدرجة كافية لتسمح بغياب محمد علي باشا نفسه عنها، فالمماليك في الجزء الجنوبي من الصعيد لا يزالون يواصلون حرباً ضده، ولذلك اضطر إلى البقاء وأسند إلى ابنه (طوسون باشا) قيادة الحملة الأولى ضد السعوديين، وبدأت الحملة

---

* السيّد محمد المحروقي : كبير تجار القاهرة وأحد أصدقاء محمد علي الخاصين، تولى الترتيب للحملة على الجزيرة العربية.

(١) بوركهارت : مواد التاريخ الوهابيين ، مصدر سابق، ص١١٠.

(٢) دار الوثائق القومية– القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة(٦٦)، وثيقة رقم(٦)، ٢٥ربيع الآخر ١٢٢٦هـ. انظر ملحق الوثائق، ص٩٣.

(٢) المصدر نفسه، بوكهارت، ص١١١.

* طوسون بيك : هو ألابن الثاني لمحمد علي والبالغ من العمر ثمانية عشر عاماً وقد برهن طوسون بك وهو لا يزال صغيرا على شجاعته الفائقة في حرب المماليك، حيث قاد أول الحملات ضد الدولة السعودية، عاد إلى مصر ومات في مدينة رشيد بالطاعون عام (١٢٣١هـ-١٨١٦م) . انظر صورة رقم (٦) ص٨٥.

(٣) فيناتي: جيوفاني، حياته ومغامراته في جزيرة العرب في عام ١٢٢٦هـ/١٨١١م، ط١، ١٤٣٣هـ، مصدرسابق،ص٨١.

تغادر إلى الحجاز في نهاية أغسطس سنة (١٢٢٦هـ-١٨١١م)[١]، وأرسل مع ابنه طوسون بيك خازنداره أحمد أغا، الذي كان قائداً يساوي طوسون شجاعة ويفوقه رزانة .

ويذكر الجبرتي: "وقد أوكل القيادة إلى طوسون بك، والمحروقي الذي أشير إليه سابقاً ، والذي كانت مهمته التفاوض الدبلوماسي مع الشريف والبدو، وكما كان مع الحملة ، أيضا عالمان كبيران من علماء القاهرة الشيخ المهدي شيخ المذهب الشافعي، والشيخ الطهطاوي شيخ المذهب الحنفي، ليجعلا بعلمهما الغزير صبغه دينية ويتناقشون مع الوهابيين حتى يعترفون بالأخطاء التي ابتدعوها في عقيدتهم الجديدة" [٢].

وكانت تلك الحملة تتكون من قسمين : المشاة ، غالبهم من الجنود الأرناؤوط ، ويبلغ عددهم ستة آلاف[٣] ، وقد أبحروا من السويس إلى ينبع. وبن بشر يقول أنهم أربعة عشر ألف.

أما الفرسان الذين مع طوسون بك وأحمد بونابرت ، وعددهم حوإلى ألفان رجل من الخيالة الأتراك الأرناؤوط ومعهم ألفا فارس من البدو المسلحين بقيادة ابن شديد* شيخ قبيلة الحويطات ، وقد ساروا عن طريق البر حتى وصلوا إلى ينبع.

ويقول ابن بشر : "في هذه السنة أجمع أمراء الترك في المسير إلى الحجاز، وأعدوا جميع آلات حرب من السفن والمدافع والقنابر والبنادق وجميع آلاتها وما يحتاجون إليه من الأموال والذخائر من الطعام وغيره ، فاجتمع العساكر من اسطنبول ونواحيها وما دونها إلى الشام ومصر والرئيس المقوم بهذا الأمر من جهة الروم صاحب مصر محمد علي فسير العساكر المذكورة براً وبحراً، فسير عساكر في السفن واستولى على بندر الينبع ، ثم سير ابنه أحمد طوسون بالعسكر الكثيف مع البر، فاجتمعت العساكر البرية والبحرية، فكانت العساكر التي استقلت من مصر من الترك وأهل المغرب وغيرهم نحو أربعة عشر ألف مقاتل أو يزيدون ، ومعهم من الخيل عدد كثير، فلما

---

(١) دار الوثائق القومية- القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة(٧٠)، وثيقة رقم(٩)، ٩ شعبان ١٢٢٦هـ. انظر ملحق الوثائق، ص٩٤؛ عباس : أحمد مرسي ، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية ، مصدر سابق ،ص ٥٤.

(٢) الجبرتي: عبدالرحمن حسن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار،ج٣ ، ص ٢١٩؛ بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ االوهابيين، مصدر سابق، ص١١٣.

(٣) جوان: ادوارد، مصر في القرن التاسع عشر، ط١، ١٣٤٠هـ، القاهرة، تعريب/محمد مسعود، ص٤٤٦.

* نصر بن شديد: هو شيخ الحويطات في سيناء مصر وشمال الحجاز نزلت قبيلة الحويطات مصر في القرن الحادي عشر هجري.

***انظر**/ الخريطة رقم٢ في الملحق تبين تحرك الجيش العثماني:الخط الأحمر سير المشاة بحرا من السويس إلى ينبع والخط الأسود سير الفرسان من القاهرة إلى ينبع والخط الأزرق سير الإمدادات من القصير إلى ينبع. ص٨١.

اجتمعت العساكر في ينبع، واستسلمت لهم بشروط بعد مقاومة ضعيفة استمرت يومين، وبعد ذلك بأسبوعين وصل إليها الفرسان براً دون أن يجدوا معارضة من القبائل البدوية، التي اجتذبت بمبالغ مالية كبيرة. وقد عُدّ الاستيلاء على ينبع أول انتصار على الوهابيين، ورمزاً لنجاح الحملة مستقبلا ، هرب ومنها رئيسها جابر بن جبارة* وقصد المسلمين"[١].

ولما وصلت الحملة عن طريق البحر إلى ميناء (ينبع)[٢] قامت باحتلالها بعد مقاومة بسيطة من حاميتها الصغيرة التي، كانت تتكون من ثلاثمائة رجل من القوات السعودية فر منها قائدها وبعض رجاله ووقع الباقون قتلى أو أسرى، ثم وصل طوسون باشا عن طريق البر يتقدم فرقة الفرسان. حيث كان في الطريق يقوم باستمالة أكبر عدد من القبائل العربية القاطنة على الطريق، فاستقرت الحملة في ينبع تم بدأ الاستعداد للزحف بالاتجاه إلى بدر.

وكانت خطة طوسون تقتضي أساسا على أن تتلاقى وحدات الجيش في ينبع، ثم يتجه بالزحف نحو المدينة المنورة، فأصدر ألامر بتحرك الجيش من ينبع وسار باتجاه (بدر) في ١٧ ذي القعدة سنة (١٢٢٦هـ-١٨١١م)[٣] كانت بعض قوات السعوديين متواجدين بها، فاشتبك الجيشان في معركة دامت ساعتين انتهت باحتلال بدر وارتدت القوات السعودية إلى وادي الصفراء المتحصنين بها والتي اتخذها السعوديون كميدان للمعركة الأساسية القادمة مع القوات العثمانية.

---

* جابر بن جبارة: هو جابر بن جبارة الشريف وضعه الإمام سعود اميرا على ينبع.

(١) ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ص ١٩٦؛ بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ االوهابيين، مصدر سابق، ص١١٣؛ دار الوثائق القومية- القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة(٧٢)، وثيقة رقم(١٠)، غرة رمضان ١٢٢٦هـ. انظر ملحق الوثائق، ص٩٥.

(٢) دار الوثائق القومية- القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة(٧٣)، وثيقة رقم(١١)، غرة رمضان ١٢٢٦هـ. انظر ملحق الوثائق، ص٩٥؛ دار الوثائق القومية- القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة(٧٤)، وثيقة رقم(١٢)، ١٦ رمضان ١٢٢٦هـ. انظر ملحق الوثائق، ص٩٧؛ فيناتي:جيوفاني، حياته ومغامراته في جزيرة العرب في عام١٢٢٦هـ/١٨١١م، ط١، ١٤٣٣هـ، مصدر سابق،ص١٠٧.

(٣) عباس : أحمد مرسي ، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية ، مصدر سابق ،ص٥٨؛ ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ص١٩٥.

• **الخطة العسكرية للجيش السعودي قبل المعركة :**

لقد كان للإمام سعود بن عبدالعزيز عيون في مصر ترصد تحركات محمد علي باشا واستعداداته العسكرية لحربه في الحجاز، فقد أعد العدة للحرب يريد الذود عن أراضيه في الجزيرة وهو سيدها بلا منازع. من الملاحظ أن محمد علي قد خطط للحرب كما لاحظنا وأعد المؤن وأرسال العيون لمعرفة الأوضاع، كان هناك جيش نظامي لمقاتلة السعوديين في حين النظر إلى الجانب الآخر في الجيش السعودي أن الدولة السعودية الأولى منذ قيامها لم يكن لها جيش نظامي، وقبل الحديث عن خطة الجيش السعودي لابد أن أشير إلى كيفية تجنيد هذا الجيش والفرق المشاركة في الحملات العسكرية، حيث إن الجيش السعودي لم تكن لديه إمكانيات الجيوش النظامية، ولم يكن كذلك جيشاً نظامياً بالمعنى المعروف [١]. فكان قبل كل حملة يحدد الأقاليم التي ينبغي عليها أن تقدم المتطوعين، وكان الأمراء يصدرون أوامرهم لتجنيد الناس في مناطقهم، وكان الذي يقود أولئك المتطوعين أحد الأعيان من كل مدينة ومن كل إقليم بنفسه إلى المكان الذي حدد له؛ ويظل يقودهم مدة الحرب، وكل جماعة إقليم يشكلون فرقة مستقلة، تأتمر بأمر أميرها .

قام الإمام سعود بن عبدالعزيز بالاستنفار وتجميع قواته من الأقإليم التابعة[٢] له وتنظيم جيشه والذي كان مكوناً من مشاة وخيالة وبعض الأسلحة الخفيفة مثل البنادق ذات الفتيل والرماح والسيوف وحزام به خنجر وجعبة للطلقات، أما الفرسان يحملون الرماح والسيوف ويحمل البعض مسدسات[٣].

جعل الإمام سعود بن عبدالعزيز الجيش السعودي بقيادة ابنه وولي عهده الأمير عبدالله بن سعود*، وكان الجيش مقسماً إلى المشاة وراكبي الإبل، إضافة إلى الخيالة والذي يتراوح عددهم إلى ثمانمائة فارس. وكان عدد القوات السعودية حوإلى ثمانية عشر ألف مقاتل[٤]، وصل مقاتلو نجد إلى المدينة وأهل تهامة إلى بدر واجتمعوا في وادي الصفراء، بعد وصول القوات السعودية وتمركزوا بوادي الصفراء وبسرية تامة وبعض التمويه حتى لا يكشف الجيش الغازي وجودهم في

---

(١)العثيمين: عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ط١٦، ١٤٣٢هـ،مكتبة العبيكان،الرياض، ص١٨٩.

* الأمير عبدالله بن سعود انظر ملحق الصور، صورة رقم (٨) ص٨٦.

(٢) العثيمين: عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، مصدر سابق، ص١٩١.

(٣) عباس : السيد أحمد مرسي ، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية ، مصدر سابق، ص٥٨.

(٤) ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ص١٩٦.

هذا الواديوالذي هو الطريق الموصل إلى المدينة المنورة.

وكانت خطة الأمير عبدالله بن سعود تقضي بأن يشد انتباه الجيش العثماني إلى داخل الوادي واستدراج الجيش إلى ممر وادي الصفراء، وهنالك سوف تكون المعركة الحاسمة بين الجيشين حيث حدد موقعها الأمير عبدالله بن سعود وقواده المشهورين مثل عثمان المضايفي ومسعود بن مضيان* زعيم قبائل حرب، وحباب بن قحيصان* زعيم قبائل مطير والذين لهم الخبرة في الحروب والقتال، ثم قام الأمير عبدالله بن سعود في ممر وادي الصفراء بحفر خندق وبناء متاريس(١) في المنطقة الضيقة منه ووضع القوات النجدية خلفه، وثم أمر عثمان المضايفي بأن تكون قواته في قمم الجبال ومعه قوات بيشة* وقحطان .

يقول فلبي عن إستراتيجية الجيش السعودي :"كان الجيش الوهابي تحت إمرة عبدالله بن سعود الذي يظهر لأول مرة في تاريخ الجزيرة العربية، واتخذ عبدالله موقعه في الخيف أضيق جزء من وادي الصفراء في منتصف الطريق بين المدينة وبدر، وبدأ هناك ينتظر قدوم العدو، ويقدر عدد قواته بثمانية عشر ألف مقاتل منهم ثمانمائة من الفرسان، وأرسلت فرقة من هذا الجيش تتألف من قبائل الوشم وحرب تحت إمرة زعيم قبيلة حرب مسعود بن مضيان إلى مكان آخر، كفرقة احتياطية في حال اقترب العدو من تلك الناحية"(٢)، لقد بدأ السعوديون باستدراج القوات العثمانية إلى مكان المعركة في وادي الصفراء حيث أرسلت بعض فرق الجيش لمناوشة العثمانيين في بدر الذين اعتقدوا أن انتصارهم في بدر قد فتح الطريق لهم إلى المدينة، فتتبعوا فلول السعوديين المنهزمين ليصلوا إلى وادي الصفراء حيث بدأت المعركة.

---

* مسعود بن مضيان: عينه الإمام سعود بدل أخيه بادي مشيخة حرب سنة١٢٢٠هـ، وثم أمارة المدينة المنورة، وله دور بارز في معركة وادي الصفراء. ابن بشر، تاريخ نجد، ج١، ص٢١٣.

* وحباب بن قحيصان: هو حباب بن قحيصان المطيري رئيس البرزان من قبائل مطير، قتل أثناء مناخ الرضيمة سنة١٢٣٨هـ. ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١، ص٣٢٣.

(١) دار الوثائق القومية– القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة(٨٠)، وثيقة رقم(١٨)، ٢٧ ذى الحجة ١٢٢٦هـ. انظر ملحق الوثائق، ص١٠٤.

* بيشة: مدينة قديمة معروفة، من أعظم أسواق الجزيرة العربية التجارية لتوسطها بين الحجاز ونجد وعسير، فهي تقع في ملتقى طرق جنوب الجزيرة وشرقها وشمالها وغربها، تبعد عن مكة المكرمة ٥٠٠كم. انظر ابن بشر،ج١، ص٢٨٦.

(٢) ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ص١٩٦؛ بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ االوهابيين، مصدر سابق، ص١١٦؛ فلبي: سنت جون، تاريخ نجد، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، مكتبة المدبولي، القاهرة، تعريب/عمر الديراوي، ص١٨٥؛ عباس : السيد أحمد مرسي، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية، مصدر سابق، ص٥٩.

• **المبحث الثاني : موقع المعركة :**

نبذة تاريخية :

عرف عن وادي الصفراء قديما كونه من أودية بني غفار من قبيلة كنانة*، واليوم ينتسب سكانه إلى قبيلة حرب. ويعرف اليوم د. عويضة بن متيريك الجهني الصفراء[1]: بأنه واد وقرية تسمى الواسطة، تبعد عن المدينة المنورة حوإلى ١٢٨ كيلاً ، ويبدأ وادي الصفراء بالقرب من الفريش بعد خمسين كيلاً من المدينة المنورة ، ويمر بالمسيجيد والخيف والواسطة وبدر ،ثم يتجه غرباً ليصب في البحر الأحمر بالقرب من الجار، وقرية الجديدة : هي أم ذيان قرى الواسطة الثلاث بوادي الصفراء ، كان يعقد به من القدم سوق السبت لقبيلة حرب، والخيف هو الذي يسمى الآن خيف الحازمي، وهو يتحكم في أضيق ممرات وادي الصفراء ،وهو قريب جداً من قرية الجديدة المسماة (أم ذيان)، وبعد الخيف تقع محطة حديثة للقوافل تسمى الجديدة، وتعرف منذ القرن الحادي عشر بأم ذيان[2] . "ووادي الصفراء من أودية الحجاز الفحول ، كثير القرى كثير الخيوف، وإن كان أكثرها اندثر اليوم، فإذا خرجت من المدينة فتجاوزت الفريش فأنت في أول بدايات وادي الصفراء ، ثم تسير فيه مارا بالمسيجيد والخيف والواسطة حتى تتجاوز بدراً، أي أنه يلقاك على (٥١) كيلاً من المدينة، ثم يفارقك على (١٦٣) كيلاً منها٠ ثم يدفع في البحر على أثار مدينة الجار التاريخية" [3] .

جغرافية وادي الصفراء:

وهو أحد الأودية الكبيرة في المملكة العربية السعودية، ينحدر من سلسلة جبال السروات باتجاه الغرب، يبلغ طوله أكثر من ١٢٠ كيلا تقريبا، تبدأ أعالي منابعه غرب مركز الفريش

---

*قال عنه ياقوت الحموي: (هو واد كثير النخل والزرع والخير، في طريق الحاج، سلكه النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة) وقد وطئته أقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عندما اعترض قافلة قريش في غزوة بدر الكبرى. والصفراء قرية، تعرف باسم الواسطة ثم أعطت اسمها لوادي يليل، وهذا الوادي قديم جداً حيث نجد مضيق الصفراء وغيره، وكأن الاسم أصيل للوادي وأن القرية كانت الصفراء ، غير أن الخبر الوارد في غزوة بدر سمى القرية الصفراء، وهو الخبر عنها وعن الوادي. وتدفع في هذا الوادي، أودية عظيمة مثل: وادي الجي ووادي رحقان، و وادي الروحاء والتي تُكَوّن سيولها وسيول الشعاب التي تدفع فيه سيلاً جارفاً، ووادي يليل هذا شديد الانحدار، وبه قرى كثيرة منها قرية الجديدة أو خيف نوح أو خيف بني سالم (خيف الحازمي) حالياً، وقرية أسفل منه هي (أم ذيان)، [ولعلها هي المقصودة بالجديدة].

(١) الجهني : عويضة بن متيريك ،

(٢) الرحيلي: سليمان، الطريق النبوية إلى بدر معالم وعبر،١٤١٩هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ص٣٨.

(٣) البلادي : عاتق بن غيث ،معاجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، مصدر سابق، ،ص ١٧٦-١٧٧.

بحوإلى ٢كم٢ وينتهي في البحر الأحمر مارا في بدر(١) .

يتميز وادي الصفراء بطبيعة جغرافية خاصة التي تجعل منه منطقة إستراتيجية عسكرية لأي جيش عسكري بسيط لأن الارتفاعات الشاهقة تجعل منه تحصينات ودفاعات عسكرية حيث إنه واد ضيق بين جبال شاهقة في أغلب مناطقه، وهذه الجبال وعرة يصعب تسلقها، وتمتد هذه الجبال مكونة سلسلة مزدوجة داخلها سهل رملي متعرج شديد الانحدار أحيانا في أغلب اتساع بين سلسلة الجبال مسافة الكيلين والكيلو، وفي بعض مناطقه مسافات ضيقة تتراوح مابين مئة متر والستين متر أحيانا، تجعل من الوادي يعيق سير الجيوش وتنظيم تحركاتها بانتظام في المضيق، مما يجعل اقتناص أي جيش بسهولة، مما جعل الأمير عبدالله أن يتخذه متراس عسكرياً، وإقحام وإدخال الجيش العثماني في مضيق الوادي من الجهة الغربية صوب المدينة المنورة، وكان استدراجه بعد الخانق المحصور بين جبال الصدقين واجتياز بلدة الصفراء .

كما أن هذا المضيق حتى نهايته من الناحية الشرقية عند الطلعة (تدعى اليوم طلعة الماك) لا يوجد له أي منفذ عبر الجروف الصخرية الوعرة .

وبذلك يمكن القول بأن العامل الجغرافي قد لعب دوراً هاماً في حسم المعركة، فقد درس المدافعون من القوات السعودية طبوغرافية المنطقة حيث كان اختيارهم لموقع المعركة اختياراً صائبا مبنياً على أسس عسكرية مدروسة، والتحصن في الوادي وتحديد مكان المعركة، ولو كان اختيار الجيش السعودي بلدة الصفراء لتمكن الجيش العثماني من المغادرة عبر وادي (دفران)*، أو عبر ممر بلدة (دغبج)*. ولكن تم استدراجه حتى اكتمل دخول جميع الجيش العثماني وحصاره عند مدخل قرية (الجديدة)* أم ذيان لتتم المعركة وإبادته عند الخيف (خيف الحازمي)*.

---

(١) الجاسر: حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ج١، مصدر سابق، ص ٢٧٧.

* وادي دفران: أحد روافد وادي الصفراء. البلادي : عاتق بن غيث ،معاجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، مصدر سابق، ،ص ١٧٦-١٧٧.

* دغبج: قرية من قرى وادي الصفراء. البلادي : عاتق بن غيث ،معاجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، مصدر سابق، ،ص ١٧٦-١٧٧.

* الجديدة: قرية من قرى وادي الصفراء تسمى الآن (أم ذيان) يسكنها الظواهر من حرب ويوجد بها نخيل. انظر صورة رقم١، ص٨٣.

* خيف الحازمي: قرية من قرى وادي الصفراء يسكنها الظواهر من حرب ويوجد بها نخيل. انظر صورة رقم٣، ص٨٣.

وأن من سمات وطبيعة سكان وادي الصفراء معرفة مداخله وأحراشه وهؤلاء السكان كما أسلفت من قبيلة حرب شديدي البأس في الحرب، وهم بقيادة زعيمهم مسعود بن مضيان الذي كان مع جيش الإمام سعود بن محمد تحت قيادة الأمير عبدالله فكان تمركزهم في متاريس حربية مبنية من الحجارة المأخوذة من نفس الجبال وهي مثل الخنادق، حيث إنها في قمم الجبال ووسطها لا تشاهد بسهولة وهي في الممر الضيق من الوادي* .

ويؤكد وصف الشاعر ابن جباص وهو من أهل الرس موقع المعركة بشعره حيث قال :

يأبو كفوف خضبت بالحنا ماشفت يوم في ملاوي الخيف

يوم المدافع بالعجل يحدنا والشمس غابت والقمر ماشيف [1]

* أنظر ملحق الصور والخرايط، صورة رقم٢، ص٨٣.

(١) دار الوثائق القومية– القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة(٨٠)، وثيقة رقم(١٨)، ٢٧ ذى الحجة ١٢٢٦هـ. انظر ملحق الوثائق، ص١٠٤؛ العبيد: محمد العلي، النجم اللا مع للنوادر جامع أخبار وأشعار من القرنين ١٣-١٤، مخطوط، ج١، ص١٠؛ آل الشيخ: عبدالرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، المقامات، ص١١١.

• **المبحث الثالث : سير المعركة :**

سارت قوات طوسون باشا من بدر تتقدم نحو وادي الصفراء، ملاحقة لفلول السعوديين، وهناك بدأت المناوشات بين الجيش العثماني وبين فرقة من الجيش السعودي[1]، وكانت معركة لمدة ساعتين لاستدراج العثمانيين إلى داخل الوادي حيث تحقق ذلك، فدخل الجيش العثماني يطارد المنهزمين ومتقدماً نحو المدينة وهو لا يعلم عن طبيعة هذه المنطقة .

لقد زحف طوسون على وادي الصفراء في قوة تبلغ ثمانية آلاف من الجنود وهاجمها الجند حتى صاروا إلى طريق ضيقة يشرف عليها السعوديون من أعلى الجبال، فلما وصل الجنود انهالت عليهم قذائف السعوديين[2] وفتكت بهم فتكا ذريعا، فانقلبت الصفوف الأولى منهزمة ووقع الذعر فيما وراءها فاختل نظام الجيش وكانت تقتضي خطة الجيش السعودي كذلك إلى تقسيم الجيش إلى قسمين: قسم من أهل تهامة ونجد مع المضايفي في قمم الجبال، وقسم من أهل الوشم وحرب مع مسعود بن مضيان تنتظر إشارة الاشتراك في المعركة من الأمير عبدالله بالوقت المناسب، فلما اشتركت القوة الأخرى كانت الهزيمة وتشتت الجند تاركين أثقالهم ومدافعهم وتراجعوا، وكانت هذه الواقعة هزيمة كبرى قتل فيها خمسة آلاف من الجيش العثماني. وكان في الوادي قوات أخرى للمناوشات، لأن خطة الأمير عبدالله تقضي بأن يشد انتباه الجيش العثماني إلى داخل الوادي وحصل للسعوديين هزيمة وقتل اثنان وثلاثون رجلاً، فهرب الفرسان والمشاة السعوديين إلى داخل الوادي، واغتر طوسون بهذا النصر المؤقت، فطارد الفلول فوقع في كمين القوات السعودية فالتقى الفريقان فحصل قتال شديد وصبر الفريقان، وكثر القتلى في العثمانيين والسعوديين، وصارت عدة وقائع ومقاتلات في قمم الجبال وقتل أغلب الجيش العثماني من قبل قوات المضايفي، ودامة المعركة على ذلك ثلاثة أيام، فأرسل عبدالله إلى مسعود بن مضيان ومن معه من عربان حرب وأهل الوشم، وأمرهم أن يحملوا على قوات العثمانيين، فأقبلوا وحمل الجنود السعوديون عليهم، فانهزمت العساكر العثمانية لا يلوي أحد

---

(١) دار الوثائق القومية– القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة(٨٠)، وثيقة رقم(١٨)، ٢٧ ذى الحجة ١٢٢٦هـ. انظر ملحق الوثائق، ص١٠٤.

(٢) دار الوثائق القومية– القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة(٧٩)، وثيقة رقم(١٧)، غرة رمضان ١٢٢٦هـ. انظر ملحق الوثائق، ص١٠٣؛ ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ص١٩٦.

على أحد وانكشفوا عن مخيمهم ومحطتهم وولوا مدبرين منهزمين طالبين النجاة، وتركوا مدافعهم وهي سبعة، والخيام ومعداتهم الثقيلة وكثير من السلاح، وما في محلهم من جميع الآلات والذخائر، ولم ينج منهم إلا أهل الخيل الذين أدبروا مع باشواتهم ، ومات معظم خيولهم حتفاً وظمأ حتى وصلوا إلى البريكة*، وركبوا منها في السفن هربا إلى ينبع، واستقروا بها بعد أن قتل من جنودهم عدد كبير. يروي بريدجز: "بعد أن ترك طوسون حامية صغيرة في بدر تقدم إلى الصفراء ، ولم يكد الأتراك يدخلون إلى الممر حتى تمت الإغارة عليهم من قبل أعداد كبيرة من بني حرب الذين كانوا قد التقوهم في الصفراء ، والذين انسحبوا أمامهم للمرة الثانية. ولأن الأتراك كانوا يعتقدون أن مهاجميهم قد انهزموا هزيمة شديدة، فقد أغراهم قدرهم المحتوم بملاحقة أعدائهم إلى منتصف ذلك الممر، وعند ذلك وفي خضم دهشتهم وارتباكهم لاحظوا أن الجبال على الجانبين مغطاة بالمقاتلين الوهابيين"(١).

يذكر بن بشر "وأن القتلى من الجيش العثماني أكثر من أربعة آلاف رجل، وقتل من السعوديين نحو ستمائة رجل ، وكانت هذه الواقعة في العشر الأواخر من ذي القعدة من هذه السنة."(٢)

وأخذ السعوديون منهم من الأموال والسلاح ما لا يحصر ، فنجحت خطة الجيش السعودي بالإيقاع بالقوات العثمانية وهزيمتهم(٣). وهنا بعض روايات المؤرخين حول المعركة ووصفها:

يخبر الجبرتي عن أحداث المعركة حيث يقول:" بأن جماعة من كبار الوهابية حضروا بنحو سبعة آلاف خيال وفيهم عبدالله بن سعود، وعثمان المضايفي ومعهم مشاة وقصدوا أن يداهموا العرضي على حين غفلة، فخرج إليهم نصر بن شديد شيخ الحويطات، ومعه طوائفه، ودلاة وعساكر، فوافاهم قبل شروق الشمس، ووقع بينهم القتال وانجلت الحرب عن هزيمة الوهابية، غنموا منهم نحو سبعين هجينا من الهجن الجياد، محملة أدوات، وكانت الحرب بينهم مقدار

---

* البريكة هي المعروفة بالجار ميناء المدينة القديم و تقع غرب بلدة بدر وتبعد عنها مسافة خمسة وعشرين كيلو متراً. انظر خريطة رقم١، ص٨٠.

(١) بريدجز :هارفرد جونز ، موجز التاريخ الوهابي، مصدر سابق ،ص١٣٣؛ بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ االوهابيين، مصدر سابق، ص١١٨.

(٢) بن بشر ، عنوان في المجد في تاريخ نجد ، مصدر سابق، ص١٩٧.

(٣) البتنوني :محمد لبيب ، الرحلة الحجازية ، مصدر سابق ، ص٨٩؛ بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ االوهابيين، مصدر سابق، ص١١٦.

ساعتين"[1]ويقصد هنا الجبرتي بداية الاستدراج للجيش العثماني ليدخل وادي الصفراء للقضاء عليه، ونكمل مع الجبرتي روايته في تصوير ووصف المعركة فيقول:" وصل الجيش إلى منزلة الصفراء والجديدة، ونصبوا عرضيهم وخيامهم وطاقاتهم بالقرب من الجبال، فوجدوا هناك متاريس* وأحجار فحاربوا على أول متراس حتى أخذوه، ثم أخذوا متراسا آخر، وصعدت العساكر إلى قمم الجبال فهالهم كثرة الجيش ، وسارت الخيالة في مضيق الجبال، هذا والحرب قائم في أعلى الجبال يوما وليلة إلى بعد الظهيرة من يوم الأربعاء ثالث عشر القعدة، فما شعر الموجودون في الاسفل إلا والعساكر الذين في الأعلى هابطون منهزمون، فانهزموا جميعا وولوا الأدبار، وطلبوا جميعا الفرار، وتركوا خيامهم وأحمالهم وأثقالهم، وطفقوا ينهبون ما خف عليهم من أمتعة رؤسائهم، فكان القوي منهم يأخذ متاع رفيقه الضعيف، ويأخذ دابته ويركبها، وربما قتله وأخذ دابته، وساروا طالبين الوصول إلى السفائن بساحل البريكة ، لأنهم أعدوا عدة مراكب بساحل البريكة من باب الاحتياط، ووقع في قلوبهم الرعب ، واعتقدوا أن القوم في أثرهم، والحال أنه لم يتبعهم أحد، فكانوا يصرخون على القطائر فتأتي إليهم القطيرة، وهي لاتسع إلا القليل فيتكاثرون ويتزاحمون على النزول فيها، فيصعد منهم الجماعة ويمنعون البواقي من إخوانهم، فإن لم يمتنعوا مانعوهم بالبنادق والرصاص، حتى كانوا من شدة حرصهم وخوفهم واستعجالهم على النزول في القطائر، يخوضون في البحر إلى رقابهم ، وكأنما العفاريت في أثرهم تريد خطفهم"[2] من هذا التصوير للمعركة نرى هول هذه المعركة وكيف كانت أحداثها وطريقة التحام الجيشين في الممر الضيق من الوادي. وبرواية آخرى نكمل الحديث عن هذه المعركة.

يقول زيني دحلان:" فتوجهوا من مصر في رمضان سنة ست وعشرين ومائتين وألف فملكوا ينبع وما بعدها بسهولة إلى إن وصلوا الصفراء، وكان قد اجتمع فيها وفي جبالها ونواحيها كثير من قبائل العرب وأمرائهم وجاء عثمان المضايفي من الطائف ومعه قبائل كثيرة فوقع بينهم وبين العساكر المصرية في ثالث عشر ذي القعدة من السنة المذكورة قتال شديد بين تلك الجبال فانهزم طوسون باشا ومن معه من العساكر وقتل كثير منهم واستولى العرب على أموالهم

---

(١) الجبرتي: عبدالرحمن حسن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ،ج٤، ص٢٢٢-٢٢٣.

* انظر ملحق الصور والخرايط، صورة رقم٣، ص٨١.

(٢) الجبرتي: عبدالرحمن حسن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ،ج٤، ص٢٢٢-٢٢٣؛ عباس : السيد أحمد مرسي ، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية ، مصدر سابق، ص٥٩.

وذخائرهم وأكثر ما كان معهم وفرّت العساكر هاربة في كل ناحية ورجع من سلم منهم إلى مصر"[1].

يخبرنا عن المعركة الشيخ محمد البسام حيث قال:" أول ما درج في الجزيرة أحمد طوسون باشا ابن الوزير العزيز محمد علي باشا وهو أول عسكر درج على أرض الحجاز متوجهاً لقتال الوهابي، فهدد المعسكر الذي معه سبعة آلاف والعرب يومئذ ما توجهوا إليه.حتى تغلب على سائر أراضي الحجاز وباديتها، ثم جهز الملك الأعظم سعود بن عبد العزيز عساكر ما يقوم بحقها قائم، وأمر ابنه عبد الله فيهم وأنفذه لملاقاة الوزير المذكور حتى نزل بموضع من مواضع الحجاز غربي المدينة المقدسة اسمه "الخيف" فنزل عبد الله بعساكره وأقام به منتظرا قدوم الوزير إليه بأهبة، وسائر قبائل الحجاز واليمن ونجد وغيرهم تبعاً لعبد الله، ولا والله تغلب عليهم صاحب مصر عن ضعف منهم أو جبن بل خيانة من العربان ورضى من ساكني البلدان فساق الوزير عساكره إلى الوهابي في سبعة آلاف فلقيه الوهابي بأربعين ألف مقاتل قال المؤلف: وأنا منهم وقد حضر الوهابي على عسكره الخنادق وعمل المتارس في ثلاثة أيام لم يجد عسكر الوزير مدخلاً إلى عسكر الوهابي لأجل أن السهل خندق والجبل مترس، فضاقت الأرض بما رحبت على الوهابي وعساكره، وكان سعود بن مضيان المذكور ما يأمنه الوهابي أن يخون عليه، فلما نفذت ذخائر الوهابي وأوازغه، واحتاج إلى رجوع النفس بعث إلى ابن مضيان من كان بعده عنه فيه فجاء معه ألف راية، فلما رأوه عسكر الوزير بهذا العدد قالوا، هذا الوهابي الكبير يعنون سعود الذي من أهل نجد ولده عبد الله فأدبر عسكر الوزير."[2]

يقول الفاخري:"وفي سنة ست وعشرين ومائتين وقعة الجديدة، وهي وقعة عظيمة بين الترك وبين عبدالله بن سعود، فقتل في الترك مقتلة عظيمة قيل قتل ثلاثة آلاف، وقتل من المسلمين رجالا قيل نحو ثمان ماية "[3].

يروي صاحب المقامات في المقامة التاسعة الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ وهو من حضر المعركة

---

(١) دحلان: أحمد زيني ، خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام ، مصدر سابق ،ص١٠١.

(٢) البسام: محمد، الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر، د.ن، د.ط، مكتبة المشكاة. الرياض، ص٤.

(٣) الفاخري: محمد بن عمر (ت١٢٧٧هـ/١٨٦٠م)، مخطوط، تاريخ نجد، جامعة الرياض: الرياض، الرقم العام ٩٥٣٨/١٣، الرقم الخاص١٩٥، ص٨٦-٨٧ .

وهو شاهد عيان عليها، وهنا أترك لكم الوصف الدقيق للمعركة حيت قال:" اجتمعت عساكر الحجاز على عثمان المضايفي وأهل بيشة وقحطان وجميع العربان، فنزلوا بالجديدة. فاختار عبدالله بن سعود القدوم عليهم والاجتماع بهم، وذلك أن العسكر المصري في ينبع ، فاجتمع المسلمون في بلد حرب، وحفروا في مضيق الوادي خندقا،وعبؤوا الجموع، فصار في الخندق من المسلمون أهل نجد، وصار عثمان ومن معه من أهل الحجاز في الجبال فوق الخندق، فحين نزل العسكر أرزت خيولهم، وعلموا أن لا طريق لها إلى المسلمين، فأخذوا يضربون بالقبوس، فدفع الله شر تلك القبوس الهائلة عن المسلمين، إن رفعوها مرت ولا ضرت، وإن خفضوها اندفنت في التراب، فهذه عبرة، لما مشوا على عثمان ومن معه في الجبل فتركوهم حتى قربوا فرموهم بما احتسبوهم به وما أعدوه لهم حين أقبلوا عليهم، ما أخطأ لهم بندق، فقتلوا العسكر قتالاً ذريعاً، وهذه أيضاً من العبر، لأن العسكر الذي جاءهم أكثر منهم بأضعاف، ومع كل واحد من الفرود والمزندات، فما أصابوا رجلا من المسلمين، وصار القتل فيهم، وهذه أيضا عبرة عظيمة.

هذا كله وأنا أشاهده، ثم مالوا إلى الجانب الأيمن من الجبال بجميع عسكرهم من الرجال، وأما الخيل فليس لها فيه مجال، فانهزم كل من كان على الجبل من أهل بيشة وقحطان وسائر العربان، إلا ما كان من حرب فلم يحضروا، فاشتد على المسلمين لما صاروا في أعلى الجبل، فصاروا يرمون المسلمين من فوقهم، فحمي الوطيس آخر ذلك اليوم، ثم من الغد، فاستنصر أهل الإسلام ربهم الناصر لمن ينصره، فلما قرب الزوال من اليوم الثاني نظرت فإذا برجلين قد أتيا فصعدا طرف الجبل، فما سمعنا لهم بندقاً ثارت، إلا أن الله كسر ذلك البيرق ونحن ننظر، فتتابعت الهزيمة على جميع العساكر، فولوا مدبرين، وجنبوا الخيل والمطرح، وقصدوا طريقهم الذي جاءوا منه، فتبعهم المسلمون يقتلون ويسلبون."[1]

يروي جيوفاني فيناتي حيث كان في الدفعة الأولى من جيش محمد علي، وأشترك مع الجيش في الاستيلاء على ينبع، وكان مشاركاً في المعركة، يقول: "بدأت مناوشات في وادي الصفراء (الجديدة) بين القوات العثمانية بقيادة طوسون والقوات السعودية (الوهابية)، وبدأ يسرد أحداث المعركة مبتدأً بالمناوشات قبل دخول الممر إلى بداية المعركة وأحداثها في الوادي، وعن الدفاعات الموجوده من المتاريس والخندق والرجال الموجودين على قمم الجبال، وكيفية دحرهم

(١) آل الشيخ: عبدالرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، المقامات، مصدر سابق، ص١١٠-١١٤.

لقوات طوسون والمذبحة التي حدثت، وبعد فترة أنهزمت قوات طوسون ولاذو بالفرار إلى البريكة"[1]

تشرح إحدى الوثائق الموجودة في دار الوثائق القومية المصرية أحداث معركة وادي الصفراء" زحف القائد العام، إلى بدر حنين، مرتبا للصفوف على ذلك المضيق، يميناً ويساراً ووسطاً، وهاجم الوهابيين، فأخذ يصيب ما يرمى به الوهابيين من القنابل، والقذائف، والرصاصات، أجساد المسلمين، من غير أن تخطئ، وما يرميه المسلمين من القنابل، والقذائف، والرصاصات، تقع على الأحجار، والجبال في الغالب، فدامت الحرب من غير انقطاع ليل نهار، خمسة أيام متوالية متواصلة، وفي نهاية الأمر أخذ المسلمون من الوهابيين خمسة عشر متراساً، ودخلوا فيها، لكن حيث أن الوهابيين في غاية الكثرة، حتى انهم لو ذبحوا ذبح الأغنام، من غير مقابلة منهم، لابد وأن يحصل فيمن يذبحهم طول خمسة أيام ليل نهار، فتور وضعف، مع أن الفريقين امضيا المدة المذكورة، بالمحاربة المتقابلة، فاستشهد وجرح من المسلمين نحو ألف وهلك من الوهابيين، حسب أخبار العيون والجواسيس مقدار عشرة آلاف، ولم تبق في الفريقين طاقة وقدرة، وبعد أن انسحب الوهابية إلى متاريسهم الخلفية، رجع عساكر الاسلام على تمهل"[2]

---

(١) فيناتي: جيوفاني، حياته ومغامراته في جزيرة العرب في عام ١٢٢٦هـ/١٨١١م، ط١، ١٤٣٣هـ، مصدرسابق، ص١١٨-١٢٢.

(٢) دار الوثائق القومية- القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة(٨٠)، وثيقة رقم(١٨)، ٢٧ ذى الحجة ١٢٢٦هـ. انظر ملحق الوثائق، ص١٠٤.

الفصل الثالث

معركة وادي الصفراء في ميزان التاريخ

المبحث الأول:

أسباب نصر الجيش السعودي

المبحث الثاني:

أسباب هزيمة جيش محمد علي

المبحث الثالث:

نظرة المؤرخين للمعركة

أولا / الجانب السعودي

ثانيا / الجانب العثماني

الفصل الثالث/ معركة وادي الصفراء في ميزان التاريخ:

المبحث الأول: أسباب نصر الجيش السعودي :

كانت معركة وادي الصفراء من أخطر المعارك التي خاضتها الدولة السعودية الأولى مع الجيوش العثمانية، وتكمن خطورتها في نوعية الاستعدادات الحربية هذه المرة، حيث كانت تواجه الدولة السعودية الأولى جيشا لم تعتد القتال مع مثله، وهذا الجيش نظامي ومدرب تدريباً عالياً حيث خاض حربين مهمتين وهي إجلاء الفرنسيين من مصر وحرب المماليك واستئصالهم من مصر، كما ضم عدداً لا يستهان به من القادة المدربين والذين لعبوا أدوارا في حروب استعادة مصر من الفرنسيين.

ما إن علم بقدوم جيش عثماني قادم من مصر استنفر الإمام سعود قائد الدولة السعودية الأولى قواته وبدأ في الاستعداد لمواجهة هذا الجيش وجهز جيشاً ضخماً من الحاضرة والبوادي حيث ضم عدة قوات من حاضرة نجد وعربانها وأهل تهامة وعسير وباديتها وعربان الحجاز من قبائل حرب وغيرهم حتى تكون لديه جيش عدده قرابة الثمانية عشر ألف مقاتل. كان هذا أول جيش سعودي يبلغ هذا العدد مما يوحي بأن الإمام سعود بن عبدالعزيز أراد أن يجعل هذه المعركة الفيصل بينه وبين القوات العثمانية، حيث يروي ابن بشر: "واجتمع مع الإمام سعود من الجنود نحو ثمانية عشر ألف مقاتل وثمانمائة فارس "[1]. وكذلك يروي مانجان: "عندما علم سعود أن الجيش التركي يتهيأ للسفر إلى الحجاز، أعلن حالة الاستنفار في نجد وفي سائر البلاد التابعة لسلطانه فتكون لديه جيش قوامه خمسة عشر ألف مقاتل من نجد والحجاز وتهامة، ثم ثلاثة آلاف من بوادي حرب مع مسعود بن مضيان الظاهري "[2] .

وإدراكاً من الإمام سعود لأهمية هذه المعركة قام باستدعاء مجموعة من قادته الدهاة والمشهورين بحسن التخطيط وقيادة الجيوش مثل عثمان المضايفي و طامي بن شعيب المتحمي وحباب بن قحيصان المطيري وهادي بن قرملة زعيم قبائل قحطان ومسعود بن مضيان وأسند القيادة العليا لابنه وولي عهده الأمير عبدالله بن سعود الذي برز في المعركة كقائد سعودي

---

(١) ابن بشر ، عنوان في المجد في تاريخ نجد ، مصدر سابق، ص١٩٦. + الجبرتي: عبدالرحمن حسن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ،ج٤، مصدر سابق، ص٢٢٠.

(٢) مانجان : فليكس ، تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية ، مصدر سابق ، ص٤٢.

شجاع يحسن التدبير وإدارة الرجال، فلقد كان حسن اختياره للقادة يدل على وعي وحسن تقدير أهمية المعركة.

اختار السعوديون مكان وزمان المعركة لإدراكهم أن مواجهة أي قوات نظامية تحوي آليات ومدافع حديثة سوف تكون كارثة على جيشها الذي كانت ذخيرته وعتاده الحربي ضعيفا مقابل الإليات العسكرية العثمانية، والذي كان عبارة عن بنادق يحملها الفرسان وكذلك الرماح الطويلة مع راكبي الهجن و المسدسات، وكذلك السيوف مع المشاة كما احضر الجيش مدافع خفيفة رغم نقص ذخيرتها، بالإضافة إلى البنادق أم الفتيل التي كانت لدى الجيش السعودي (إن مدى مسافة هذه البنادق لا يتعدى المائة والخمسين متراً، وكذلك سرعة فك البندقية من جرابها وإشتعال الفتيل، تحتاج إلى وقت من حاملها قد يصاب خلاله بخمس رصاصات على الأقل من الجند العثماني الذي يمتلك بندقية حديثة سريعة الطلقات)، وبالرغم من ضعف إمكانات الدولة العسكرية إلا أنها حاولت تعويض ذلك بحسن التخطيط والتدبير لكسب المعركة عندما تجابهها في مناطق السهول، لذلك اعتمدت خطتها العسكرية على استراتيجية استخدام الجبال والمرتفعات في حربها، أو الصحاري لمعرفة البادية طرق التمويه وآبار المياه بها، ومن هنا اتخذ الجيش السعودي موقع معركة الصفراء لعلمهم طبوغرافية المنطقة ولعدم استطاعته مواجهة العثمانيين في السهل، فلذلك وزع الجيش السعودي على قمم الجبال أفراداً من الرماة المهرة وخاصة من أهل تهامة وعسير بقيادة المضايفي وخلف الخندق أهل نجد وفي المتاريس أهل المنطقة من حرب بقيادة زعيمهم مسعود بن مضيان[1].

أسباب النصر في المعركة: اولاً- مساندة قبائل الحجاز من أسباب النصر في المعركة خاصة عناصر من قبيلة حرب وجهينة كانت مع الجيش السعودي الذي كان لهم دور بارز بقيادة شيخهم الأمير مسعود بن مضيان الظاهري زعيم حرب لإنهم أهل المنطقة وأدرى بأوديتها وشعابها وأماكن الضعف والقوة بها، وكان ذلك سبباً آخر لاختيار موقع المعركة في وادي الصفراء وتحديدا في الخيف ومنعطفات الوادي بين الجبال .

---

(١) ابن بشر ، عنوان في المجد في تاريخ نجد ، مصدر سابق، ص١٩٦. + الجبرتي: عبدالرحمن حسن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ،ج٤، ص٢٢٠؛ آل الشيخ: عبدالرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، المقامات، ص١١١. العثيمين: عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، مصدر سابق، ص٢٠٤.

ثانيا- فرض أسلوب القتال على العدو من احد أسباب النصر في المعركة، فلقد بنى السعوديون استراتجيتهم في هذه المعركة على خطة حربية أخرى وهي استدراج الجيش العثماني ليدخل إلى ممر وادي الصفراء ثم (الالتحام) معه، فالتحام الجيشين في منطقة ضيقة يحميهم من المدفعية وصواريخ الهاون والبنادق الآلية المتطورة التي يملكها الجيش العثماني الكفيلة بالفتك بأفراد الجيش السعودي فلا تقوم له قائمة بعد ذلك، فقد تم استدراج القوات العثمانية وإدخالها إلى ممر وادي الصفراء وذلك بإغراء الجيش العثماني بأنه انتصر عليهم في مناوشات مع فرسانهم في بدر وإن قواتهم المهزومة تفر من أمامه، وقد تحقق مرادهم من هذه الخطة والتحم المشاة مع بعضهم البعض في معركة دامية لمدة ثلاثة أيام.

ثالثا- سرعة الحركة وسريتها، وتضليل الخصوم[1] من الأسإلب الناجحة التي اتبعها السعوديون في خطتهم للمعركة، فلقد قام الجيش ببناء المتاريس على الجبال، وكان بها أهل الحجاز مع المضايفي، وكذلك قام الجيش بحفر خندق حولهم في السهل وكان به أهل نجد[2] ليحد من تقدم كتيبة الفرسان واندفاعها نحوهم وإرباك حركة الجيش العثماني.

رابعاً- وحدة الهدف من أسباب نصر السعوديين في معركة وادي الصفراء فالمبادئ الدينية التي يعتنقها السعوديون والتي ترتكز على عقيدتهم السلفية بأن قتالهم هذا جهاد[3]، والدفاع عن الوطن من أول واجبات هذا الجهاد، فكان الوازع الديني باعثاً قوياً للنصر في المعركة، لذلك خاض أفراد الجيش الحرب بحماس منقطع النظير وعزيمة ثابتة. والذي يؤكده ويذكره الجبرتي بقوله:(إن أحد الرواة الذين حضروا المعركة قال له: إن القوم (يقصد السعوديين) أنهم إذا دخل وقت الصلاة أذن المؤذن للصلاة فقام المقاتلون السعوديون إلى الصلاة وصلوها وأحيانا يؤدون صلاة الخوف وإن أفراد الجيش العثماني وقواده مستغربين من ذلك لعدم معرفتهم لصلاة الخوف وكيفية صلاتها، والبعض منهم حتى لم يصل الصلاة المكتوبة)[4].

خامساً- من أسباب النصر السعودي في المعركة الحماسة التي اظهرها سكان المنطقة في قتال العثمانيين، وخشيتهم من الاعمال الوحشية التي تعامل بها الجيش العثماني عندما إن دخل ينبع

---

(١) العثيمين: عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، مصدر سابق، ص١٩٠.

(٢) آل الشيخ: عبدالرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، المقامات، مصدر سابق، ص١١١.

(٣) عبد الرحيم ، عبد الرحيم عبد الرحمن ، الدولة السعودية الأولى ، مصدر سابق ، ص٣١٢.

(٤) الجبرتي: عبدالرحمن حسن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ،ج٤، ص ٢٢٦ .

حتى بدأ بقتل افراد الحامية، وقتل المدنيين في مجزرة عنيفة يندى لها الجبين وسبى نساءهم، ويروي الجبرتي حيث قال:"عند وصول القوات البحرية ينبع، استعد العساكر لمحاربة من بالقلعة، واحتاطوا بها وضربوا عليها القنابر والمدافع، وركبوا على سورها سلالم وصعدوا عليها وتسلقوا على سور القلعة، فملكوا القلعة، وقتلوا من كان بها ولم ينج منهم إلا الوزير ومعه ستة أنفار، خرجوا هاربين على الخيول، ونهبوا كل ما كان بإلىنبع من الودائع والأموال والأقمشة والبن، وسبوا النساء والبنات الكائنات بالبندر، وأخذوهن أسرى، ويبيعهن على بعضهم البعض"[1]

(١) الجبرتي: عبدالرحمن حسن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ،ج٤، ص٢١٩؛ ابن بشر ، عنوان في المجد في تاريخ نجد ، مصدر سابق، ص١٩٦.(يوكد وصول القوات إلى ينبع).

المبحث الثاني: أسباب هزيمة جيش محمد علي:

إن جزيرة العرب هي أول ميدان لحروب محمد علي باشا الخارجية، وكانت الحرب فيها من أشق الحروب التي خاض غمارها وأطولها مدى ومن أكثرها ضحايا ومتاعب، جرد محمد علي خلالها حملات عدة كلفته الأرواح والأموال، ولقي فيها الجنود الشدائد والأهوال في قطع المراحل البعيدة المترامية بين الفيافي والقفار، ونالتهم المتاعب والأوصاب، من وعورة الطريق، وشدة القيظ، إلى قلة المؤونه وندرة المياه وفقدانها في معظم الجهات، إلى محاربة عدو مستبسل بذل النفس والنفيس دفاعاً عن وطنه، فإن محمد علي يدرك أن سمعته وبقاءه في حكم ولاية مصر مرهونان بنجاحه في الحرب على الدولة السعودية الأولى، فلم يدخر جهداً في تجهيز الجيوش وإرسالها تباعا إلى الحجاز مع كل ما يلزمها[1] من تجهيزات عسكرية وعتاد حربي لهذه الحملة، ولقد كانت معركة وادي الصفراء مهمة بالنسبة لمحمد علي لضمان بقائه وبقاء أولاده في حكم مصر من بعده.

استعد محمد علي للمعركة استعداداً جيداً حيث طلب من السلطان أن يمده بأعداد من العمال الفنيين والمعماريين لإقامة القلاع والاستحكامات مع معداتهم وبعدد من القذائف الصاروخية الهاون وقذائف للمدافع والبنادق الآلية وتمويل مالى، وبعض العباءات الكشميرية التي تصنع في الأناضول لإهدائها وشراء ذمم العربان في الحجاز ليواصل حربه ضد السعوديين وطردهم من الحجاز[2] لكن هذه القوى لم تقدم النتيجة الإيجابية لها بل انهزمت أمام أول مواجهة حقيقية مع الجيش السعودي في وادي الصفراء .

ولعلنا بتتبعنا لاستعدادات جيش محمد علي باشا العثماني والخطة العسكرية التي سار عليها في معركة وادي الصفراء نلاحظ مايلي :

١- عدم وجود خطة عسكرية محكمة لهذا الجيش مع فرض الأسلوب الحربي عليهم الذي استخدمه الجيش السعودي عن طريق المباغتة والهجوم السريع على القوات الغازية مما خلخل نظامها وقلب موازين كيانها في مفاجئته الجيش بوابل نيرانه[3] عندما دخل ممر وادي الصفراء مما

---

(١) العجلاني: منير، تاريخ البلاد العربية السعودية الدولة السعودية الأولى، ج٣، ط٢، ١٤١٣هـ، دار الشبل، الرياض، ص١١٣.

(٢) الرافعي : عبد الرحمن ، عصر محمد علي، مصدر سابق، ص١٤٣.

(٣) دار الوثائق القومية- القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة(٨٠)، وثيقة رقم(١٨)، ٢٧ ذى الحجة ١٢٢٦هـ. انظر ملحق الوثائق، ص١٠٤.

جعل صفوفه تتداعى وتختل ويختلط بعضها بعض لا يلوي أحد على منهم أحد. ويؤكد ذلك رسالة طوسون باشا التي أرسلها إلى أبيه يشرح له فيها أسباب هزيمته في وادي الصفراء حيث علل أنه لم تكن الهزيمة ناشئة عن شجاعة السعوديين وقواتهم بل لاختيار موقع المعركة الغير مناسب، والارتجال وفقدان التخطيط وعدم اتخاذ الاستعدادات الكافية وكيفية صمود عبدالله بن سعود ورجاله النجديين، وإن هزيمتنا في الصفراء درس لنا وستعقبها انتصارات[1] .

٢- عدم وجود هدف سوى تحقيق أمر السلطان العثماني في استعادة الحرمين الشريفين لحوزة السلطان ليتمكن من إعادة لقبه السابق (خادم الحرمين الشريفين) الذي كان يعتز به سلاطين آل عثمان على العالم الإسلامي، واعادة سمعته وهيبته أمام العالم الإسلامي وأنه تحت سيادتهم، وكذلك تسيير قوافل الحج إلى مكة المكرمة حيث يرافقها المحمل الذي منعه السعوديون، وهو الامر الذي كلف به السلطان العثماني محمد علي باشا وألح عليه بتنفيذه لأهمية الحرمين[2]، وكان أرسال قوات عثمانية تنفيذ لهذا الطلب واستجابة والى مصر، والتي لم تكن مصرية بأي صورة من الصور؛ فأغلبها من الأرناؤوط والألبان وبعض الأتراك وبعض الضباط الفرنسيين النصارى ولا يحمل أغلب قادتها من الإسلام سوى الاسم، ويصور لنا المؤرخ الجبرتي طبيعة هذه القوة من خلال تعليق من وصفه بالصلاح والورع، عن طريق شاهد عيان ، على هزيمة هذه القوات في معركة الصفراء أمام السعوديين فيقول: "أين لنا النصر وأكثر عساكرنا على غير الملة، وفيهم من لا يتدين بدين، ولا ينتحل مذهبنا، وصحبتنا صناديق المسكرات ولا يسمع في عرضينا آذان ولا تقام به فريضة، لا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين، والقوم (يقصد السعوديين) إذا دخل الوقت أذن المؤذنون وينتظمون صفوفاً خلف إمام واحد بخشوع وخضوع، وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة، أذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة الحرب وتتأخر الأخرى للصلاة وعسكرنا يتعجبون من ذلك لأنهم لم يسمعوا به فضلاً عن رؤيته "[3] .

---

(١) ابن بشر ، عنوان في المجد في تاريخ نجد ، مصدر سابق، ص١٩٧؛ العجلاني: منير، تاريخ البلاد العربية السعودية الدولة السعودية الأولى، ج٣، ص١١١؛ عباس : السيد أحمد مرسي ، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية، مصدر سابق، ص٦١.

(٢) دار الوثائق القومية-القاهرة، دفتر(١) بحر برا، محفظة(٢٢)، وثيقة رقم (١)، ٢٣ محرم ١٢٢٥هـ. انظر ملحق الوثائق، ص٩٠.

(٣)الجبرتي: عبدالرحمن حسن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، مصدر سابق، ص٢٢٦.

٣- التنافس وعدم إخلاص القادة، ويرجع ذلك إلى أن محمد علي يريد التخلص من بعض خصومه قادة الجيش العثماني من الأرناؤوط والألبان وبعض الأتراك المنافسين له على الحكم في مصر، وكذلك إن بعض القادة في الجيش لا يريد بعضهم البعض، فكانوا أحد أسباب الهزيمة في المعركة. "قد استعان محمد علي في هذه الحملة ببعض الضباط الألبانيين خاصة الذين كان يخشى منهم حدوث اضطرابات أو قلاقل في مصر"(١).

٤- فرض أسلوب القتال كان أحد أسباب هزيمة العثمانيين في المعركة وفشلهم في استخدام أسلحتهم الآلية من مدافع الهاون والمدافع الأخرى الكبيرة، حيث إن السعوديين فرضوا عليهم المكان والزمان، وكذلك أسلوب القتال من التحام مع جيشهم أدى إلى عدم فاعلية أسلحتهم الحديثة وقيمتها على قوات السعوديين. ويذكر عبدالرحمن آل الشيخ صاحب المقامات وهو من حضر المعركة وشارك بها يقول :" فحين نزل العسكر أرزت خيولهم، وعلموا أن لا طريق لها إلى المسلمين، فأخذوا يضربون بالقبوس، فدفع الله شر تلك القبوس الهائلة عن المسلمين، إن رفعوها مرت ولا ضرت، وإن خفضوها اندفنت في التراب، فهذه عبرة"(٢)

٥- جهل العثمانيين بجغرافية المنطقة ووادي الصفراء الذي كان وادياً ضيقاً به منحنيات تشرف عليها جبال شاهقة عملت بها متاريس مموهة وخندق حفره السعوديون لإعاقة تنظيم صفوف الجيش العثماني وتقدم تحركاته، وعدم استعمال كتيبة الفرسان في ساحة المعركة(٣)، وتجنب الخيل ضد الجيش السعودي.

---

(١) الحلواني : سعد بدير ، العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن١٩ ،مصدر سابق ،ص٤٠.

(٢) آل الشيخ: عبدالرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، المقامات، مصدر سابق، ص١١٣.

(٣) آل الشيخ: عبدالرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، المقامات، مصدر سابق، ص١١٣؛ عبدالله: محمد مرسي، أمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣-١٨١٨، ج١، ١٩٧٨م، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ص٢٤٨.

- **المبحث الثالث: نظرة المؤرخين للمعركة:**
- **أولا / الجانب السعودي :**

لقد لفت ظهور الدولة السعودية الأولى و ازدهارها و اتساع نفوذها و قوتها نظر الدولة العثمانية التي فقدت الحرمين الشريفين فقررت العمل على القضاء على الدولة السعودية الأولى فاتجهت إلى واليها في مصر محمد علي باشا بعد فشل محاولاتها من خلال ولاتها في العراق والشام وأسندت إليه المهمة، وجاءت أولى حملاته بقيادة أحمد طوسون بن محمد علي باشا في عام (١٢٢٦هـ/١٨١١م) وواجه القوات السعودية بقيادة الأمير عبدالله بن سعود في وادي الصفراء وانهزم الجيش المصري و رجع إلى ينبع. فهناك ما يشبه الإجماع من المؤرخين على أن السعوديين وقائدهم الأمير عبدالله بن سعود ارتكبوا خطأ كبيرا بعدم تتبعهم عساكر طوسون المنهزمة وإفنائها مرة واحدة، ثم الحيلولة دون وصول قوات مصرية جديدة وأن السعوديين لم يتخذوا الأهبة والاستعداد لهجوم مضاد أو مطاردة أو تطويق القوات العثمانية المتراجعة بل أكتفوا بجمع الغنائم من مدافع وذخيرة وخيام.

لعلنا لو نظرنا للمعركة بمنظار السعوديين فإن الدعوة السلفية أحد أهم الركائز التي قامت عليها الدولة السعودية الأولى، وكانت تسعى إلى تطبيق كل ما تدعو إليه هذه الدعوة القائمة على مبادئ الشريعة الإسلامية، ومن هذه المبادئ ما ورد في قتال البغاة، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"هل تدري يا ابن أم عبد كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمه ؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: لا تجهز على جريحها، ولا تقتل أسيرها، ولا تطلب هاربا"[1]،كالذي ورد عن الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه في موقعة الجمل قوله لأصحابه : (لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن)[2]. وعن أبي أمامة الباهلي قال: (شهدت صفين وكانوا لا يجهزون على جريح ، ولا يقتلون مولياً، ولا يسلبون قتيلاً)، وهذا ما حاول السعوديون تطبيقه في حربهم مع خصومهم، وكان أحد الأسباب في سقوط دولتهم على يد قوات محمد علي باشا.

---

(١) الزيلعي: جمال الدين عبدالله بن يوسف، نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، ط١، ج٤، ١٤١٥هـ، دار الحديث، الرياض، ص٣٦١.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٦٢.

حقيقة حملة محمد علي على السعوديين أنها كانت قوات من بين قادتها كما وصفهم الجبرتي بعيدون كل البعد عن الإسلام، بل إن هذه الحرب كانت بين قوة إسلامية ليست لها أية أطماع سياسية وهي القوة السعودية والتي أبدت غيرة وحرصاً على العودة إلى المبادئ الأساسية للدين الإسلامي، كما أظهرت حماساً في دفع خطر العثمانيين عن الديار الإسلامية، أما القوة العثمانية وإن كانت إسلامية في شكلها العام والتي خاضت الحرب والمرسلة من قبل والي مصر والتي لم تكن مصرية بأي صورة من الصور؛ فهي خليط من الشعوب فأغلبها من الأرناؤوط والألبان وبعض الأتراك وبعض الضباط الفرنسيين النصارى والمغاربة ولا يحمل أغلب قادتها من الإسلام سوى الاسم[١]، يؤكد ذلك لنا المؤرخ الجبرتي طبيعة هذه القوة من خلال تعليق من وصفه بالصلاح والورع، عن طريق شاهد عيان ، على هزيمة هذه القوات في معركة الصفراء أمام السعوديين فيقول: "أين لنا النصر وأكثر عساكرنا على غير الملة، وفيهم من لا يتدين بدين، ولا ينتحل مذهبنا، وصحبتنا صناديق المسكرات ولا يسمع في عرضينا آذان ولا تقام به فريضة، لا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين. والقوم (يقصد السعوديين) إذا دخل الوقت أذن المؤذنون وينتظمون صفوفاً خلف إمام واحد بخشوع وخضوع، وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة، أذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة الحرب وتتأخر الأخرى للصلاة وعسكرنا يتعجبون من ذلك لأنهم لم يسمعوا به فضلاً عن رؤيته "[٢] .

ويؤكد مانجان: إن اتباع الدولة السعودية الأولى من عاداتهم لايطاردون العدو أذا كان من المسلمين حيث يعتبرونها (حرب بغاه) " في حالة النصر، لا يطارد المشاة العدو المنهزم، ولكن الفرسان والهجانة يظلون يناوشونه حتى يبتعد إلى مسافة معينة."[٣]

بعكس العثمانيين الذي تميز سلوكهم بالقسوة، فقد كانت كل مدينة يدخلها الجيش العثماني ترافقها عمليات السلب و النهب و التخريب، وكانت عادة قطع آذان الموتى وإرسالها للأستانة كعلامة على البسالة والقوة وكذلك الاستهانة بالبدو[٤].

إن استراتيجية الدولة السعودية قائمة على عدم مواجهة أي قوات نظامية ومدربة في الأماكن المكشوفة لعدم وجود أسلحة آلية متطورة بالجيش السعودي، وتعويضا عنها عمل على

---

(١) رضا: محمد رشيد، الوهابيون والحجاز (مقالات)، ط١، ١٣٤٤هـ، مطبعة المنار، القاهرة، ص١٤.

(٢) الجبرتي: عبدالرحمن حسن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ،ج٤، ص٢٢٦.

(٣) مانجان : فليكس ، تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية ، مصدر سابق ، ص٢١٣.

(٤) العجلاني: منير، تاريخ البلاد العربية السعودية الدولة السعودية الأولى، ج٣، ص١٥٥.

الاستفادة من عامل الطبيعة كالجبال والمزارع والصحاري القاحلة في مقاتلة خصومهم، وربما كان هذا السبب الذي جعل السعوديين يحجمون عن ملاحقة فلول قوات الجيش العثماني، وكذلك من جهة أخرى خشية السعوديين وتخوفهم[1] بأن يقعوا بنفس الفخ الذي نصبوه باستدراجهم الجيش العثماني إلى وادي الصفراء، بأن تتجمع فلول الجيش العثماني فيعاود الكرة عليهم في المناطق المكشوفة فينتصر عليهم في السهل.

كما أن السعوديين وثقوا واعتمدوا على الشريف غالب في حماية الساحل وأنه سوف يرسل قوات لحماية المنطقة ويطهرها من العثمانيين، ولم يفكروا في الإسراع بمهاجمة ينبع خلال الأحوال السيئة التي كانت تعاني منها القوات العثمانية ويل الهزيمة، كما أنهم لم يقطعوا خطوط الإمدادات على الجيش العثماني من العقبة إلى ينبع، ولم يهاجموا القلاع التي على الطريق بل عتمادوا على قوات الشريف[2]، يقول ابن بشر:" إن الإمام سعود حج في سنة (١٢٢٧هـ-١٨١٢م) في ذلك العام حجته التاسعة، وأقام على عادته في مكة إلى العشر الأواخر من ذي الحجة، وبذل الصدقات وكسا الكعبة، واجتمع بالشريف غالب مراراً وتهاديا، وكان قد بلغه خبر المدينة قبل قدومه إلى مكة، فأبقى في مكة عساكر ممن كان معه، وبايعه غالب عن الخيانة والغدر، فلما خرج منها أبقى ابنه عبدالله بجميع شوكة المسلمين في مكة المكرمة وقد أمرهم أن ينزلوا في وادي المر* المعروف قرب مكة"[3]

إن الغرور الذي أصاب السعوديين من النصر في معركة وادي الصفراء جعلهم يعتقدون بأن الجيش العثماني لن تقوم له قائمة بعد هذه الهزيمة ولن يتعافى جيشه بسرعة [4]. وأن محمد علي لن يحاول مرة أخرى أن يخوض غمار الحرب معهم، مثله مثل الجيوش العثمانية الأخرى

---

(١) عباس : السيد أحمد مرسي ، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية ، مصدر سابق، ص٦٠.

(٢) أبو علية : عبدالفتاح حسن، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق، ص٦٩؛ الحلواني : سعد بدير ، العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن١٩ ، مصدر سابق ، ص٤١.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق، ص٢٠٠.

(٤) جوان : إدوارد، مصر في القرن التاسع عشر، مصدر سابق، ص٤٤٩؛ عباس : السيد أحمد مرسي ، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية ، مصدر سابق، ص٦٠.

* وادي مر يعرف اليوم بوادي فاطمة وهو يقع شمالاً غرباً عن مكة ويبعد عنها نحو ثلاثين كيلومتراً وهو يشتمل على مزارع ونخيل كثيرة وقرى وقد ذكره الهمداني في صفة جزيرة العرب ص١٨٥، وهو يعدد المسافات التي بين المدينة ومكة بقوله (وعشرون ميلاً وعرض مر واحد وعشرون جزءا وعشر ونصف عشر ومن مر إلى مكة ثلاثة عشر ميلاً وعرض واحد وعشرون جزءاً) وذكر ذلك ابن كثير في تاريخه ج٢ ص ١٨٧.

(العراق– الشام) رغم إن محمد علي فعلا تردد في الاستمرار في الحرب وكاد يسحب قواته من الجزيرة لولا الضغط عليه من بعض القادة مثل أحمد بنابرت وابنه طوسون الذي صمم على النصر مرة أخرى .

اعتقد الإمام سعود بأن سكان المنطقة تشربوا الدعوة السلفية بما يكفي بأن يصمدوا أمام أي قوة تمر عبر أراضيهم، ولكن ما حدث أن حامية المدينة لم تصمد أكثر من خمسة وسبعين يوماً في وجه العثمانيين، لم يحرك الإمام سعود خلال هذه الفترة ساكنا ولم يرسل لها تعزيزات ومساعدات يستطيع من خلالها التضييق على القوات المحاصرة للمدينة أو اعتراض إمدادات تمويناتهم، لإجبارهم على فك حصارهم وانسحابهم عن المدينة، ولم يقم بمعاقبة القبائل التي ساعدت العثمانيين وخرجت عن طاعته(١)، وكان لذلك أكبر الأثر في إسقاط دولته.

إن الإستراتيجية الحربية التي اتبعها السعوديون، نجحت نجاحا كبيرا في مراحل تكوين الدولة واتساعها وحروبها مع القوى المحلية، أما حينما تعرضت لهجوم خارجي من جيش كالجيش العثماني القادم من مصر فإن الأسلوب الحربي الذي اتبعوه أصبح عامل هدم خطير على كيانها، وبدت بوادره تظهر بتفوق العثمانيين عليهم، فرغم الانتصار في معركة وادي الصفراء لم تحافظ الدولة السعودية على هذا النصر القوي، حيث لم تدعم جيشها بأسلحة آلية حديثة، ولم تؤمن ممر وادي الصفراء بوضع حامية تحميه مع سكان المنطقة، وكان ما بعد هذه المعركة انتصارات أحرزها العثمانيون أدت إلى سقوط الحجاز خلال عام واحد دون ردة فعل حربية قوية من السعوديين عدا انسحابات وتخلي عن بعض المواقع والمدن المهمة، وإن القوات السعودية اتخذت بعد عامين من المعركة خطة هجومية جديدة بإرسال جيشين على القوات الزاحفة صوب نجد فقد قاد الإمام سعود قبل وفاته الجيش الأول وزحف به صوب الحناكية للسيطرة على الطريق الرئيسي بين المدينة والقصيم ، ونجح هذا الجيش في أسر قوات طوسون وإرسالها إلى والي العراق تحت حراسة أمير جبل شمر، ثم قام جيش سعود بعدد من الحملات التأديبية ضد البدو الذين أيدوا القوات الزاحفة(٢). والجيش الثاني بقيادة ابنه الأمير فيصل بن سعود وتوجه إلى جهة الطائف عسكر في تربة وهزم الجيش العثماني هناك.

---

(١) بريدجز :هارفرد جونز ، موجز التاريخ الوهابي، مصدر سابق ، ص ١٣٩.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق، ص٢٠٢؛ الحلواني : سعد بدير، العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن ١٩، مصدر سابق، ص٤٢.

يقول ابن بشر : "دخلت السنة السابعة والعشرون بعد المائتين والألف ، وهي السنة التي قدم من مصر أحمد بونابرت على العسكر الذي في البحر مع أحمد طوسون ، وكانوا قد أقاموا فيه بعد وقعة الخيف المتقدمة، فقدم عليهم بونابرت المذكور بعساكر كثيرة من مصر جهزها معه محمد علي صاحب مصر، فضبطوا الينبع وتبعهم بقية عربان جهينة واستولوا على ينبع النخل ثم وادي الصفراء، وبلدان بوادي حرب، ثم ساروا قاصدين المدينة، وسار معهم بوادي حرب، فنزلوا على المدينة منتصف شوال وحاصروها أشد الحصار فانهدم السور، فقاتلهم من كان فيها من المرابطة قتالاً شديداً"(١).

إن كثرة الجبهات العسكرية على الدولة السعودية أدى إلى تشتت قواتها، فلقد كانت بعد المعركة مباشرة قد سيرت بعضاً من الجيش إلى ناحية العراق لتأديب بعض القبائل هناك، كما كانت هنالك حروب على الجبهة العمانية مع حكام عمان، وكذلك حلفائها القواسم مع الإنجليز، وفي الحجاز كما نعلم الحرب العثمانية، ورغم ذلك كانت الحرب سجالاً بعد دخول العثمانيين الطائف ، حيث بدأت الانتصارات تعود للدولة السعودية من جديد لولا وفاة الإمام سعود الذي أضعف من قوة الدولة.

إن اعتماد السعوديين على سكان المنطقة لحماية بلدانهم ومواقع الدولة الهامة كان أضعف من أن يصمد امام جيش كبير وإمكانات حربية عالية كالتي يمتلكها العثمانيون، مع علم السعوديين بقلة إمكانيات سكان هذه المنطقة التي لا تستطيع الدفاع عن نفسها حتى من الغزو البسيط هو خطأ عسكري كبير أقترفه السعوديون ظهرت نتائجه فيما بعد، وكذلك شعور أهالي الحجاز بأن الدولة السعودية لم تقف معهم في مواجهة قوات العثمانيين، بل جعلت مصيرهم تحت رحمة قوات العثمانيين بعد المعركة، بالإضافة للفقر والجوع الذي يعصف بالسكان بعد منع الإمام سعود بن عبدالعزيز مرور محمل الحج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وانقطاع الإتاوات التي كان يرسلها العثمانيون لهم كهدايا مع محمل الحج الشامي والمصري، في حين كان يذهب ولاء هؤلاء القبائل إلى الشريف غالب الذي أغدق على مشايخهم المال والهدايا، أضف إلى ما سبق أن بعض أهل الحجاز خاصة في الحرمين كانوا يميلون إلى التصوف والبدع في عباداتهم وهو ما كان يجدوه لدى العثمانيين، في حين منعها الإمام سعود وحاربها

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١، مصدر سابق، ص١٩٩؛ الجبرتي: عبدالرحمن حسن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ،ج٤، ص٢٢٦.

لأنها تنافي تعاليم الإسلام الصحيحة فما إن ظهر أول جيش عثماني ضد الدولة السعودية حتى رحبوا به ودعموه للتخلص من الدعوة السلفية التي كانت تمنعهم من ممارسة هذه البدع، أضف أن هذه الحرب عصفت بأهل الجزيرة وأبادت أبناءها وأتت بويلاتها عليهم من انتشار للأمراض والجوع والفقر خاصة على السعوديين، ويقول سنوك هور خرونيه:"غير أن الحروب بين الطرفين والتي لم تنقطع بين الطرفين وما صاحبها من الجوع والمرض وخاصة مرض الطاعون الذي فتك بالناس وانقطاع الموارد الخارجية عن المدينة المقدسة(مكة المكرمة)، أدت إلى تردي الأوضاع في كافة بقاع الجزيرة العربية على وجه العموم وفي مكة على وجه الخصوص."[1]

إن وفاة الإمام سعود بن عبدالعزيز عام(١٢٢٩هـ-١٨١٤م)[2] كان له الأثر السيئ على الدولة السعودية خاصة وأنها في حالة حرب مع الدولة العثمانية، فقد ظهرت بوادر تفكك البيت السعودي فيما بينهم، حيث يرى كلاً من الأمير عبدالله بن سعود وعمه عبدالله بن عبد العزيز أنه أحق بالإمامة وقيادة الدولة مما أدى إلى ضعف المواجهة مع العثمانيين.

إن النصر في هذه المعركة رفع من قيمة أسهم القائد العسكري للمعركة وهو الأمير عبدالله بن سعود وإن المعركة أقنعت والده بأنه يصلح لحكم الدولة من بعده ويكون ولي عهد المستقبل والحاكم المستقبلي للبلاد .

- **ثانيا / الجانب العثماني:**

كان محمد علي باشا قائدا عسكريا كلف بولاية مصر لصالح الدولة العثمانية ، وكان لمحمد علي باشا مطامع شخصية في الانطلاق من مصر لتوسيع سلطته، فرأى محمد علي باشا أنه إذا نجح حيث أخفقت الجيوش العثمانية واستطاع بقوة جيشه أن يقضي على الدولة السعودية ويستخلص منها الأراضي المقدسة، فلا جرم أن يتوطد مركزه وتسمو مكانته عند السلطان، فلا يعود يفكر في عزله أو تغييره، ولا يستطيع أن يعامله معاملة سائر الولاة الذين كان يتصرف السلطان فيهم بالعزل والنقل، بل يدعوه إلى أن يعامله معاملة رفيعة، أويجعله من الولاة المقربين، وكان محمد علي باشا يتمنى أن يتدرج مركزه من والي تابع إلى حاكم مستقل، أضف إلى ذلك أنه إذا لم يلبِّ دعوة السلطان ويتأهب لمحاربة السعوديين فإن ذلك يكون مبررا لعزله.

---

(١) هور خرونيه: ك. سنوك، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ج١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ترجمة/د:علي عودة الشيوخ- محمد محمود السرياني- معراج نواب مرزا، ص٢٧١.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق، ص٢٠٧؛ الجبرتي: عبدالرحمن حسن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ،ج٤، ص٣٢٥؛ آل الشيخ: عبدالرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، المقامات، ص١١٦.

وهكذا وجد في الحرب على السعوديين تحقيقا لهذه المطامع، حيث اتخذ إرسال الحملات إلى شبه الجزيرة العربية حجة لطلب ضم ولاية الشام إلى مصر، وقد طلب من السلطان ذلك في عدة مناسبات مستخدما كل أنواع المكر والخداع، وزاد في إلحاحه لهذا الطلب وأنه بحاجة إلى موارد الشام الاقتصادية[1] لتمويل حملاته على السعوديين، وحين يرى تخوف السلطان يغض الطرف عن هذا الطلب ثم يحاول تجديده مرة أخرى .

لقد وصل إلى محمد علي نبأ هزيمة ابنه وقواته في وادي الصفراء، فبدأ يستغل هذه الهزيمة التي حلت بقوات ابنه طوسون في الصفراء، فبعد أن صور للباب العالي فظاعة الهزيمة رغم استبسال قواته أمام القوات السعودية التي رسم لها صورة مبالغ فيها ، وذكر أشياء بعيدة جداً عن نظام آل سعود الحربي[2]. لجأ إلى هذا الأسلوب ورمى بثقله في حرب الحجاز ليحافظ على سمعته في العالم الإسلامي وليحقق رغبة السلطان ويحقق أطماعه في السيطرة على بعض أقاليم شبه الجزيرة العربية .

واستفاد العثمانيون من عدم مطاردة القوات السعودية لفلول جيشهم بعد انتهاء معركة وادي الصفراء مما أعطاهم ذلك فرصة ليتمكنوا من تحصين ينبع وتأسيس قاعدة عسكرية لهم لينطلقو منها مرة أخرى ويستقبلون الإمدادات العسكرية وتمويل الحملات على شبه الجزيرة العربية. كما ظلت خطوط الإمدادات العسكرية البرية من طريق العقبة والمويلح والوجه إلى ينبع مستمرة دون أي انقطاع ولم تعترضها أي قوات عسكرية سعودية توقف استمرار تدفقها من الاستمرار.

وهنا يجب أن نشير إلى أن محمد علي باشا اتخذ من هزيمة وادي الصفراء أيضا مبرراً لفرض ضرائب جديدة لدعم المجهود الحربي على أراضي الأوقاف في مصر، بالإضافة إلى فرض إتاوات من الغلال على القرى[3] حتى يتمكن من إرسال امدادات إلى ينبع، وبدأ بالاستعداد بإرسال حملة بقيادة أحمد بونابرت لمساعدة قواته في ينبع.

---

(١) دار الوثائق القومية–القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة (٦٥)، وثيقةرقم (٥)، غرة ربيع الأول١٢٢٦هـ، انظر ملحق الوثائق، ص٩٢.

(٢) دار الوثائق القومية– القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة(٧٩)، وثيقة رقم(١٧)، ١٩ ذى الحجة ١٢٢٦هـ. انظر ملحق الوثائق، ص١٠٣؛ عبد الرحيم ، عبد الرحيم عبد الرحمن ، الدولة السعودية الأولى ، مصدر سابق ، ص ٣١٥؛ الحلواني : سعد بدير ، العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن١٩ ، مصدر سابق ، ص٤٢.

(٣) الجبرتي: عبدالرحمن حسن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ،ج٤، ص٢٢٥؛ عباس : أحمد مرسي ، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية ، مصدر سابق ،ص٦٣؛ الحلواني : سعد بدير ، العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن١٩ ، مصدر سابق ، ص٤٢.

أدرك محمد علي بعد هزيمة قواته في وادي الصفراء أن الدولة السعودية تشكل خطرا على مطامعه الشخصية لأنها لو خضعت للدولة العثمانية فسيكون هذا حائلا دون استقرار حكمه في شبه الجزيرة العربية، إذ إن وجود هذه القوة المنافسة في المنطقة قد يتسبب في تأرجح ولاء القبائل بين الحكم العثماني المصري والسعودي، وهذا يؤدي إلى اضطراب الأوضاع وخروجها عن السيطرة، فضلا عن احتمال تقارب العرب بعضهم من بعض وانضمام القبائل إلى السعوديين ، وهذا يساعد على تقوية الحكم السعودي، ثم إخراج محمد علي من شبه الجزيرة العربية أو إضعاف نفوذه فيها.

لقد استغل محمد علي باشا من الهزيمة لتحقيق أطماعه في طلب ولاية الشام من السلطان وضمها إلى حكمه في مصر معللاً الاستفادة من مواردها الاقتصادية لتساعده في الحرب على الدولة السعودية التي عجزت عنها الجيوش الأخرى العثمانية[١] ولقربها من الجزيرة مما يتيح له الحصول منها على الإمدادات العسكرية .

"لقد حاول محمد علي استغلال نتيجة تلك الواقعة لتصوير إمكانات السعوديين العسكرية بشكل مبالغ فيه أمام الدولة ليعزز طلبه في الشام بعزل واليه سليمان باشا وإسناد ولايتها إلى يوسف كنج ليشترك معه في قتال السعوديين، وفي كلا الحالتين سيستفيد محمد علي من موارد الشام لصالح الحملة المصرية على شبه جزيرة العرب "[٢].

بدأ طوسون باستراتيجية جديدة للتعرف على طبيعة المنطقة عن طريق بث العيون والجواسيس لمعرفة الطرق في الجزيرة العربية ليتمكن من مواصلة حربه في الجزيرة مستعين بحليفه شيخ الحويطات الذي ساهم بقدر كبير بعد معركة وادي الصفراء في معرفة الطرق، وكذلك مهد له الطريق بينه وبين زعماء القبائل[٣] الموجودين على الطريق إلى المدينة، فلقد لعب دور الوسيط وكما لعب من قبل المعركة بدور الجاسوس ونقل المؤن هو وعربانه، فلقد ساهم في نجاح الحملة على السعوديين وذلك طمعا بأموال محمد علي باشا التي أغدقها عليه وعلى عربانه، وعلى القبائل حيث لم يشأ طوسون أن يجعل جنوده وأسلحته على كثرتها وسيلته الوحيدة إلى كسب

---

(١) الرافعي : عبد الرحمن ، عصر محمد علي، مصدر سابق، ص١٤٣.

(٢) دار الوثائق القومية–القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة (٦٥)، وثيقةرقم (٥)، غرة ربيع الأول١٢٢٦هـ، انظر ملحق الوثائق، ص٩٢؛ الرافعي، المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(٣) دار الوثائق القومية– القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة(٧٨)، وثيقة رقم(١٦)، ٥ ذى القعدة ١٢٢٦هـ. انظر ملحق الوثائق، ص١٠٢؛ العجلاني: منير، تاريخ البلاد العربية السعودية الدولة السعودية الأولى، ج٣، ص٢٩١.

الحرب، وإنما تذرع بالسياسة والكياسة والكرم الزائد[١] في معاملته لزعماء ورؤساء عشائر الحجاز، وذلك لاستمالتهم إلى صفه والتقوي بهم وإضعاف خصمه بانفضاضهم من حوله، وقد وجه عناية خاصة إلى قبيلتي حرب وجهينة لأنهما تقيمان في المنطقة الممتدة من المدينة المنورة إلى وادي الصفراء وما بعدها، أي في طريق زحفه إلى المدينة. حيث كان الإفلاس الذي ضرب تجار الحجاز بسبب تحريم السعوديين على رعايا دولتهم التجارة مع العراق و الشام و غيرهم و منع الحجاج التابعين للدولة العثمانية من الحج فانهارت منظومة اقتصاد الحجاز تماماً و منظومة دخل القبائل المالية.

قول الجبرتي:" لما امتنعت قوافل الحاج المصري والشامي وانقطع عن أهل المدينة ومكة ما كان يصل إليهم من الصدقات والعلائف والصرر التي كانوا يتعيشون منها خرجوا من أوطانهم بأولادهم ونسائهم ولم يمكث إلا الذي ليس له إيراد من ذلك وأتوا إلى مصر والشام ومنهم من ذهب إلى استانبول يتشكون من الوهابي ويستغيثون بالدولة في خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التي كانوا عليها من إجراء الأرزاق"[٢].

ويذكر أن حاجة سكان المنطقة للأموال لعبت دوراً هاماً في هذه الحرب حيث إن السعوديين كانوا ينظرون إلى هذه الحرب نظرة مقدسة ودفاع عن الدين والأرض والوطن لا مساومة فيها، فتركوا أصحاب الأرض يدافعون عنها ولم ينظروا إلى الأحوال الاقتصادية لأهل المنطقة الذين اشتدت عليهم المجاعة والحروب وخاصة في الحجاز، قام محمد علي باستغلال ذلك فاستأجر عشرين سفينة[٣] من إمام مسقط (سعيد بن سلطان) وسيرها في البحر الأحمر بين جدة والقصير والسويس ليتمكن من جلب الأرزاق لأهل الحجاز وجيشه ويستعطف بها قلوب الحجازيين حتى لا ينتفضوا ضده ويكسب ودهم، ومنها كذلك تخفيض الأسعار لسهولة الحج.

وقام محمد علي بالاتصال بالقبائل البدوية في شبه الجزيرة العربية واستمالتهم إلى جانب قواته، وذلك عن طريق مراسلة شيوخ القبائل البدوية قبل إرسال الحملة[٤] طالبا منهم الخضوع لابنه

---

(١) الحلواني : سعد بدير ، العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن١٩ ، مصدر سابق ، ص٤٣.

(٢) الجبرتي: عبدالرحمن حسن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، مصدر سابق ،ج٣، ص٢٤٧.

(٣) ابوعلية : عبدالفتاح حسن، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق، ص٧٠.

(٤) دار الوثائق القومية– القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة(٧٨)، وثيقة رقم(١٦)، ٥ ذى القعدة ١٢٢٦هـ. انظر ملحق الوثائق، ص١٠٢.

ومساعدته بتقديم ما يحتاج إليه من مؤن ووسائل نقل وحماية قوافل الإمدادات من النهب والسلب. يقول الجبرتي :"عرف العرب وأكابرهم (أي مشايخهم) واستمالهم واندرجوا معه، ومنهم شيخ الحويطات الذي أوصله لهم، إنما هم من العرب الموهوبين، وهم عرب حرب والصفراء وإنهم مجهودون والدولة السعودية الأولى لا يعطونهم شيئاً ويقولون لهم:(قاتلوا عن دينكم وبلادكم) فإذا بذلتم الأموال وأغدقتم عليهم الإنعام والعطاء ارتدوا ورجعوا وصاروا معكم وملكوكم البلاد "[1].

لقد استمال محمد علي المشايخ بالهدايا والرشاوى[2] وتارة بالترهيب والعقاب إن خرجوا عن سلطانه. يقول زيني دحلان :"صار يوالي إرسال العساكر في دفعات برا وبحرا فلما اجتمع كثير من عساكر البر والبحر في ينبع ومعهم صناديق من الأموال أخذوا في تألف العربان واستمالتهم ببذل المال وكان ذلك بعد مكاتبتهم مع شريف مكة مولانا الشريف غالب فكانوا يكاتبونه ويكاتبهم سرا، فكانوا يعملون بتدبيره وبما يعتمد عليه، فكان ذلك سبب إقبال مشايخ العربان عليهم وأرسلوا إلى شيخ مشايخ حرب كافة فحضر فأكرموه فخلعوا عليه وعلى من حضر معه من أكابر العربان فألبسوهم الفراوي السمور والشالات الكشميري وفرقوا عليهم من الشالات ملء أربع سحاحير، وصبوا عليهم الأموال، وأعطوا شيخ مشايخ حرب مائة ألف ريال فرانسة عينا، ففرقها على المشايخ وخصه هو بمفرده من ذلك بثمانية عشر ألف ريال ثم رتبوا لهم علائق ونقودا تصرف لهم كل شهر، فعند ذلك ملكوهم الأرض وصاروا يسعون في خدمتهم وتقدمهم إلى أن أدخلوهم المدينة المنورة."[3].

لعلنا عندما نتلمس نظرة بعض المؤرخين لا نتغافل عن أطماع محمد علي باشا التي كانت محركاً آخر للحرب التي أمر السلطان بها بإرسال جيش إلى الجزيرة العربية مزود باستعدادات هائلة، ولكن هذا الجيش أخفق في أول مواجهة له مع السعوديين، وبالضغط والإصرار من ابنه طوسون وأحمد بونابرت ووعدهم له بالنصر بعد معركة وادي الصفراء تجددت أطماع محمد علي

---

(١) الجبرتي: عبدالرحمن حسن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، مصدر سابق ،ج٣، ص٢٧٣.

(٢) دار الوثائق القومية- القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة(٧٧)، وثيقة رقم(١٥)، ٥ ذى القعدة ١٢٢٦هـ. انظر ملحق الوثائق، ص١٠١.

(٣) دحلان: أحمد زيني ، خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام ، مصدر سابق ،ص١٠٢-١٠٣؛ عباس : السيد أحمد مرسي ، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية ، مصدر سابق، ص٨٧.

باشا وبانت بوادرها، فجعل من هذه الحرب مثابة تدريب لقواته على حروب الصحراء لتتمكن هذه القوات من الحصول على الكفاءة العالية في شتى الظروف والمناطق لخوض غمار الحرب التوسعية لحساب محمد علي باشا، لعل الذي لفت نظر محمد علي إلى التفوق الذي يميز النظام العسكري الحديث لقواته ما شهده بنفسه من انكسار الجيوش العثمانية التي كانت تحت قيادة مصطفى باشا في واقعة أبي قير أمام الفرنسيين، ولزيادة هذا التفوق لم يلبث أن طلب من فرنسا معلما عسكريا لجيش ينشئه على النظم الحديثة، والذي أنشئه في أسوان بجنوب مصر من مماليكه الخاصين [١]

إن محمد علي باشا كان عازما على إعلان الاستقلال بمصر عن الدولة العثمانية حيث يرى أنه جدير بتأسيس دولة خاصة يحكمها هو وأبناؤه من بعده، وأنه سوف يكون على حساب الدولة السعودية وولاية الشام، وساعد على هذا الحلم بعد انضمام قائد البحرية العثماني (أحمد باشا فوزي)*[٢] بالأسطول العثماني إلى محمد علي وتسليمه هذا الأسطول إليه كهدية، حيث أصبحت أقوى دولة بحرية في البحر المتوسط .

خطا محمد علي خطوة قبل أن يرسل قواته إلى شبه الجزيرة العربية حيث قام بتثبيت أقدامه كحاكم مطلق على مصر، بعد احتلال الإنجليز للإسكندرية(١٢٢٢هـ-١٨٠٧م) فقد استمر في المفاوضات مع الإنجليز والاتفاق والتفاهم في ما بينهما حيث وجدوا في محمد علي الإخلاص لهم وحماية مصالحهم ولا يسمح الباشا لأي قوة أخرى بتهديد تلك المصالح أو مزاحمتها، وتكفل محمد علي بحماية المصالح الإنجليزية ورعايتها في تسهيل مواصلاتها للهند، والأهم أن يقف الإنجليز إلى جانب الباشا ضد أعدائه الخارجيين بمن فيهم السلطان العثماني، ولقد لعب محمد علي في حملته على الدولة السعودية باسم استرداد الحرمين الشريفين وتسيير الحج لصالح العثمانيين[٣].

والحقيقة عكس ذلك، فقد كان يخدم مصالح الإنجليز بصورة غير مباشرة في حربه على الدولة

---

(١) طوسون: عمر، الجيش المصري البري والبحري، ط٣، ١٣٥٤هـ، مطبعة المستقبل، الإسكندرية، ص ٥ .

(٢) الحلواني : سعد بدير ، العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن١٩ ،مصدر سابق ، ص٤٧ .

* أحمد باشا فوزي: قائد الأسطول البحري العثماني، سلم الأسطول لمحمد علي باشا في ١٢٣٢هـ.

(٣) دار الوثائق القومية- القاهرة، دفتر(١) معية تركي، محفظة(٨٠)، وثيقة رقم(١٨)، ٢٧ ذى الحجة ١٢٢٦هـ. انظر ملحق الوثائق، ص١٠٤.

السعودية الأولى التي كان قيامها ينذر بخطر جسيم على الإنجليز لوجودها على شواطي الخليج العربي مع وجود قوة دولة القواسم البحرية المرتبطة سياسيا وعقائديا بالدولة السعودية والتي تجوب الخليج وتصل إلى مياه المحيط الهندي، وكذلك وجود (ميناء شناص) في عمان التابع للدولة السعودية، حيث وجود هذه القوى يشكل خطراً على مستعمرة الهند، فالجزيرة العربية هي التي كانت الضحية الأولى التي ذبحت قربانا لهذا التفاهم بين الباشا والإنجليز.

تناول المؤرخون تفسير توسعات محمد علي باشا العسكرية وحملاته حيث يرى بعضهم أن لكل حملة منها أسباباً تاريخية خاصة، فمثلاً الحملة ضد الدولة السعودية جاءت استجابة لأمر السلطان في التخلص من السعوديين، بالإضافة إلى أنها تخدم عددا من أهداف محمد علي الخاصة التي سبق لنا ذكرها .

أما عن حملة السودان فمن أسبابها أنها تخلص الباشا من المزيد من القوات الألبانية غير النظامية المشاكسة التي أفلتت من الحروب في شبه الجزيرة العربية، كما كان يطمح في تجنيد السودانيين في الجيش الذي أنشأه، وأضف إلى ذلك التخلص من بقايا قوات المماليك التي لجأت إلى دنقلة والتي اعتبرها مصدر تهديد دائم.

أما الحملة اليونانية فكانت استجابة لأمر السلطان بإخماد الثورة التي انفجرت بين السكان من رعاياه وعدم قدرة القوات الحكومية المركزية على مواجهتها، ولا تخلو أيضاً هذه الحملة من أسباب خاصة أهمها إنعاش تجارة مصر في بحر إيجة والتي عطلتها الانتفاضة إلىونانية.

أما أهم الحروب التي خاضها محمد علي فهي حملة سوريا، فلها عدة أسباب مترابطة كما يرى المؤرخون منها: أن محمد علي شعر أنه يستحق مكافأة معتبرة بعد كل هذه المساعدات التي قدمها للباب العالي في الحملات السابقة، وكانت حملة سوريا من أهم حملات الباشا لأنها تحقق رغبته في إقامة منطقة عازلة بين أملاكه في مصر ومركز الدولة العثمانية في الأناضول.

ومن الراجح الذي تؤيده الحوادث أن مشروع محمد علي كان يتناول إنشاء دولة عربية مستقلة في مصر تضم إليها البلاد العربية في أفريقية وآسيا، ففي أفريقية قد استقل بمصر وفتح السودان، وفي آسيا قد فتح معظم الجزيرة العربية وبسط نفوذه عليها، وبطموحه استولى على سوريا وكان يريد من ذلك تأسيس الدولة المصرية الكبرى[1].

---

(١) الرافعي : عبد الرحمن ، عصر محمد علي، مصدر سابق، ص٢١٩؛ الحلواني : سعد بدير ، العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن١٩ ،مصدر سابق ، ص٣٩.

كان محمد علي يطمح لضم الشام من عام (١٢٢٥هـ-١٨١٠م) وكان يأمل أن يصل إلى حكمها بموافقة السلطان، وأن حملاته على الجزيرة العربية كانت لهذه الغاية حتى يرضي غرور السلطان بإرجاع لقبه خادم (الحرمين الشريفين).

لقد كان هناك محرك آخر وهو امتداد نفوذ الحركة السلفية على معظم الجزيرة العربية والتي شعرت بريطانيا[١] بخطورة هذا النفوذ على مصالحها، لقد أصبحت الدولة السعودية يمتد نفوذها على الخليج العربي والبحر الأحمر، ودخل القواسم في الخليج العربي تحت نفوذها ووصل نفوذها إلى جنوب العراق، وأصبحت تؤثر على الطريق البري بين أوربا والشرق، وفوق هذا وذاك فإن الأسس الدينية التي ترتكز عليها هذه الدولة قد قطع على بريطانيا إمكانية تطويعها أو عقد الاتفاقيات معها، حيث كان العداء للنفوذ الأجنبي في المنطقة من أهم أهداف هذه الدولة، لقد استطاع القواسم ومن خلفهم القوة السعودية من توجيه ضربات موجعة لأسطول الإنجليز في عام (١٢٢١هـ-١٨٠٦م) وأصبحت مياه الخليج تحت سيطرتهم، لقد بلغت الدولة في زمن سعود بن عبدالعزيز الأوج من الناحية السياسية إذ وصلت كربلاء في العراق، وإلى حوران في بلاد الشام، وخضعت لها الجزيرة كاملة باستثناء اليمن مما جعل بريطانيا تعمل ضدها في الخفاء وقامت بالإيعاز للسلطان ولمحمد علي بالقضاء عليها[٢] .

إن السلطان العثماني كان يكفيه خضوع الحجاز لحكمه ومهاجمة الدرعية لم تكن مطلباً ملحاً أو ضرورياً للدولة العثمانية، وكان محمد علي متشدداً في شروط الصلح مما يدل على حرصه على استمرار الحرب، لأن هدفه من هذه الحرب خدمة أطماعه التوسعية في إطار ما تسمح به أهداف السياسة البريطانية في المنطقة، بعد أن أصبحت الدولة السعودية تشكل خطراً بالغاً على الوجود البريطاني في المنطقة بأسرها سواء في البحر الأحمر أم في الخليج العربي أم في وصولها إلى الطريق البري عبر العراق، وأصبحت بريطانيا تشعر بتهديد حقيقي لمصالحها في الشرق، ولهذا فإن وصف هذه الحملة بأنها حملة صليبية في ثوب إسلامي يعد وصفاً حقيقياً لهذه الحملات.

---

(١) عباس : السيد أحمد مرسي ، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية ، مصدر سابق، ص١٧١.

(٢) الغنام: سليمان، سياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية والسودان وإلبونان وسوريا، مصدر سابق، ص٥٢.

لقد انتهت الحرب السعودية بانتصار الجيش العثماني[1] وبسط نفوذه في بلاد العرب، وهذه الحرب من أشق الحروب على محمد علي وأكثرها ضحايا وأعظمها نفقات، وقد تخللها هزائم ومواقف عصيبة كادت تقضي على حملة محمد علي ، فإن الجيوش التي جردها استهدفت الخطر في مواطن عدة وخاصة في هزيمة وادي الصفراء .

لقد كان تحقيق أمر السلطان العثماني في استعادة الحرمين الشريفين وإعادة لقبه السابق (خادم الحرمين الشريفين) بالنسبة له كافية بعد سقوط الحجاز، ولكن المطامع والرغبة من كلا الطرفين السلطان ومحمد علي باشا حيث لكلاهما أهداف معروفة في إنهاء الدولة السعودية، وشجع على ذلك الأوضاع الاجتماعية في الجزيرة العربية حيث أدرك محمد علي باشا ما سوف يحل بقواته فاستخدم الحكمة والسيف ففاوض بعض العشائر والعربان وأغراها بالمال والوعود واوجد الطابور الخامس الذي بذل له كثيرا من العون ومهد لنصره، كما اعتمد على كثير من العرب وأشراف مكة وأهل الحجاز وغيرهم من الناقمين على السعوديين والحركة الوهابية فكانوا من العوامل التي استطاع والي مصر أن يستفيد منها. حيث كان الجو في الحجاز مهيأ لنجاح الحملة المصرية العثمانية وذلك أن الشريف غالب لم ينضم للدولة السعودية عن رضا واقتناع وكان يتطلع إلى التخلص من الدولة السعودية حيث كان ذلك واضحا من خطاباته السرية التي يبعثها إلى اسطنبول والقاهرة للتخلص من السعوديين[2]. إضافة إلى أن انقطاع الحج من الولايات العثمانية الغنية قد أضر ببعض التجار الحجازيين مما كان له أكبر الأثر في وقوف هؤلاء التجار مع الحملة المصرية العثمانية ضد السعودية .

"إن محمد علي قد خاض غمار الحرب الوهابية لا لمصلحة الدولة العثمانية ، بل تثبيتاً لمركز وإعلاء لشأن مصر، وقد حققت الأيام صدق نظره ، إذ عظمت منزلته أمام السلطان العثماني خلال الحرب الوهابية وبعد انتهائها ، وعلت بذلك مكانة مصر الحربية والسياسية ، وامتدت سلطتها إلى جزيرة العرب، وانبسطت رقعتها واتسعت حدوده ، فإن الجيوش المصرية التي جردها محمد علي لحرب الوهابية لم تنسحب منها بعد كسر الوهابيين، بل ظلت تحتلها وأخذت لحكومة المصرية تبسط سلطاتها في أصقاع شبه الجزيرة وتنصب لها الحكام وقواد الجند، كما أن

---

(١) عباس : السيد أحمد مرسي ، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية ، مصدر سابق، ص١٦١.

(٢) مانجان : فليكس ، تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية ، مصدرسابق، ص٤٨.

السلطان كافأ محمد علي بإسناد مشيخة الحرم المكي وولاية جدة إلى ابنه إبراهيم، فاتسع فعلاً نطاق مصر، وضمت إليها بلاد الحجاز وعسير وجزءاً من اليمن، ثم وصلت سيادتها إلى شاطئ الخليج العربي، أي أن نفوذ مصر قد امتد إلى معظم شبه الجزيرة العربية"[١].

إن من أهداف محمد علي باشا الإستراتيجية وفي مصلحته القضاء على الدولة السعودية مما أتاح له السيطرة على الجزيرة العربية بشكل عام والحجاز خاصة ليوسع ممتلكاته في الجزيرة العربية والاستيلاء على اليمن والخليج ومنافسة الإنجليز في المنطقة، أملاً في تكوين إمبراطوريته الجديدة.

إن محمد علي كان محباً للشهرة وكسب الألقاب أسوة بعلي بيك الكبير حين سماه شريف مكة بلقب (سلطان مصر وخاقان البحرين)[٢] فالحرب على السعوديين كانت إذن وسيلة لتوطيد مركز محمد علي، كما أنها سبيل لرفع شأن مصر، وإعلاء مكانتها، وتمهيد لتتبوأ المركز الذي نالته من بعد بين الدول. وأغلب الظن أن فكرة الانفصال عن تركيا وتحقيق استقلال مصر قد بدأت تملك عليه مشاعره من ذلك العهد ، وأنه أخذ يعمل لها عن طريق الفتح والحرب ، وليس ثمة حرب تعلي مكانة محمد علي باشا وتنيلها مركزاً ممتازاً وتكسبها عطف الشرق والعالم الإسلامي مثل الحرب الحجازية ، فقد كان الغرض منها إنقاذ الحرمين الشريفين من حكم فرقة الوهابية، وتجديد ما بين الأمم الإسلامية من الصلات الأدبية والاقتصادية، وإعادة مناسك الحج وتأمين السبل للحجاج الذين يأتون كل عام من مشارق الأرض ومغاربها. كما أن من أهداف محمد علي الحصول على مكانة خاصة عند السلطان بإعادته الحرمين الشريفين إلى حكم العثمانيين، وسعيا منه كذلك زيادة الثقة من قبل السلطان، ليس فقط باسترجاع الحرمين بل بالقضاء على المناوئين للدولة العثمانية، وهذا سيعطيه مكانة عظيمة تساعده على تحقيق طموحاته، ومما يدلل على تحقق هذه الأهداف التكريم الذي حصل عليه محمد علي وابنه طوسون باشا من قبل السلطان وتولية إبراهيم باشا ابنه الآخر حكم جدة [٣]فيما بعد.

---

(١) العيدروس: محمد حسن،تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية، الكويت، ص ٥٣-٥٤.

(٢) السيد: فرج ، حروب محمد علي ، ١٩٩٩، مطبعة التوكل بالجمانية ،القاهرة، ص٤٧.

(٣) القحطاني: فاطمة حسين، حملة ابراهيم باشا على الدرعية وسقوطها، مصدر سابق. ص٧٥.

وأدرك محمد علي باشا بمجرد ما تسلم زمام حكومة مصر وبعد الحرب على الدولة السعودية أنه لابد من إدخال النظام الحديث[1] في القوات العسكرية البرية والبحرية لكل حكومة تريد أن تكون مقاليد البلاد في قبضة يدها حتى تتمكن من إدارة شؤونها على محور النظام، وتعمل على حفظ حوزتها من الغارات الخارجية، وتوسيع رقعة بلاده.

لم تدرك الدولة السعودية خطورة محمد علي باشا، ولم تقض على جيشه في وادي الصفراء وفي بيشة والحناكية حين تمكنت من هزيمته فكان سقوطها على يديه.

إن الأوامر السلطانية لمحمد علي باشا لمحاربة السعوديين جاءت لتعطي محمد علي الضوء الأخضر لتحقيق أطماعه وأهدافه التي يسعى لها، حيث إن حربه على السعوديين المشعل الذي أنار طريقه إلى توسعه في العالم العربي .

---

(١) بدوي: جمال، محمد علي وأولاده، ١٩٩٩م، مكتبة الأسرة، القاهرة، ص٩٢.

الخاتمة

الخاتمة

إن عدم نجاح الدولة العثمانية في حملاتها السابقة على الدولة السعودية الأولى عن طريق ولاتها في العراق والشام سبب رئيس لاتجاهها إلى وإليها القوي في مصر محمد علي باشا الذي سعد في هذا التكليف ؛ لما يحققه له من أهداف ومطامع كثيرة كان يسعى إلى الحصول عليها، فأرسل قواته للقضاء على الدولة السعودية، بهدف استرجاع الحرمين الشريفين إلى أحضان الدولة العثمانية وإرضاء السلطان، وكان استعداده لهذه الحرب بالأسلحة الحديثة التي يصعب على السعوديين مواجهتها أو التعامل معها، وإضافة إلى ذلك تدعيمه بقوة من الجيش النظامي الحديث، فكانت أول المواجهات العسكرية مع السعوديين مخيبة للآمال حيث انتصر عليه الجيش السعودي في (معركة وادي الصفراء) .

إن معركة وادي الصفراء لعبت دوراً مهماً في تاريخ الدولة السعودية الأولى مع القوات العثمانية، فقد كان اخفاق السعوديين في الحفاظ على انتصارهم في معركة وادي الصفراء سبب في اسقاط دولتهم وعودة سيطرت العثمانيون على المنطقة وبسط نفوذهم مره أخرى على الحرمين الشريفين.

لقد تعرفنا من خلال هذه المعركة على أحداث جسام قبلها وأثنائها وبعدها، فلقد كان للمعركة أسباب دينية لدى السعوديين وكذلك بالنسبة للعثمانيين وسياسية واقتصادية لدى محمد علي باشا كما أوضحنا، وتكمن أهمية أحداث المعركة من الاستعدادات الحربية للجيشين والخطط والإستراتيجية العسكرية للمعركة والأحداث داخل وأثناء المعركة، وطبوغرافية موقع المعركة الجغرافي وكيفية استغلاله من قبل السعوديين الذي كان عامل مهم للنصر، وكيف تحولت هذه المعركة من انتصار مهم للسعوديين إلى عامل رئيسي في هدم وسقوط الدولة السعودية .

إن تغلغل الدعوة السلفية ومبادئها التي ظلت باقية في نفوس أتباع الدولة السعودية خاصة في نجد أظهر حركة مقاومة جديدة وما رافقها من تأييد وطني سببا في ظهور الدولة السعودية مرة أخرى ضد العثمانيين، وتاسيس الدولة السعودية الثانية، واستمر ذلك حتى سقطت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى.

ومن خلال دراسة معركة وادي الصفراء يلاحظ أن هناك عدة أمور فقدت بعد المعركة مباشرةً، وأهمها :

١- إن المبادى الدينية هي التي كانت عائق امام الجيش السعودي في تتبع فلول الجيش العثماني المنسحب إلى ينبع وإبادته قبل وصول الامدادات إليه، وكذلك تفكك الجيش السعودي وبعض منه اتجه إلى الحج مع قائده ؟

٢- أعتماد الإمام سعود على الشريف غالب بن مساعد في تطهير الساحل الغربي من العثمانيين وطردهم من البلاد لأنه هو الأقوى في هذه المرحلة ؟

٣- عدم تحرك الإمام سعود لمساعدة حامية المدينة المنورة التي صمدت أمام الجيش العثماني وفك الحصار عنها؟

٤- لم يقم الإمام سعود بأي عمل عسكري ضد العثمانيين إلا بعد عام كامل، بعد رجوعه من حج سنة (١٢٢٧هـ-١٨١٢م) بدأ يتحرك ويجمع قواته؟

٥- نتمنى أن نجد تفسيرات لهذه النقاط لدى المؤرخين حيث المعركة كانت هامة للجيشين.

الخرايط والصور والوثائق

خريطة رقم (١)

خريطة رقم (٢)

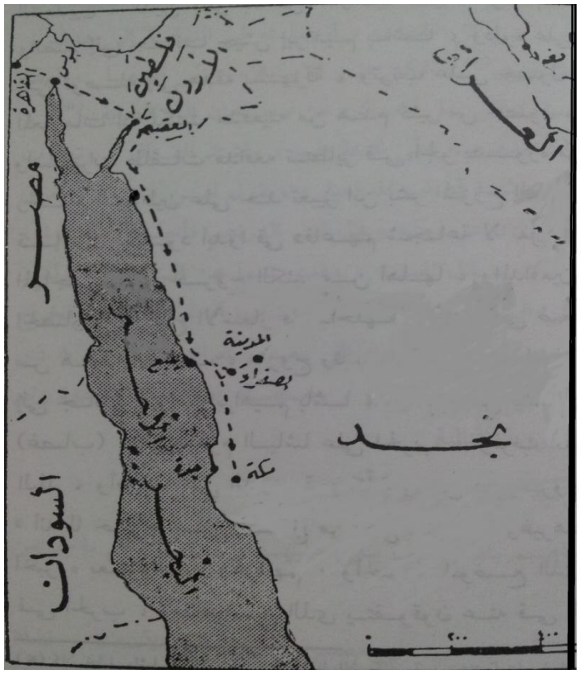
فلسطين
الأردن
العقبة
القاهرة
مصر
المدينة
بحر
مكة
السودان
نجد

خرريطة رقم (٣)

صورة رقم(١)

صورة رقم (٢)

صورة رقم (٣)

صورة رقم(٤)

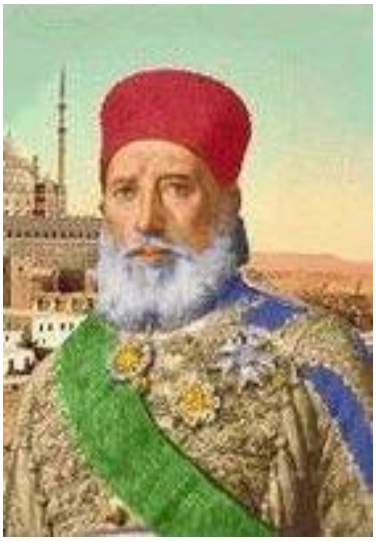

صورة رقم (٥) إبراهيم باشا.

صورة رقم (٦) طوسون باشا.

صورة رقم (٧) محمد علي باشا

صورة رقم (٨) عبدالله بن سعود

كما نشرها (هوغارث)

وثيقـــة رقم (١)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ــ القاهرة .

وحدة حفظها : دفتر رقم (١) معية تركى .

رقمها فى وحدة الحفظ : (٥) .

تاريخها : ٨ شوال ١٢٢٢هـ ــ ٩ سبتمبر ١٨٠٧م .

موضوعها : موسى باشا يحث محمد على ، على حرب الدولة السعودية .

ختم

رب سهل أمور
موسى كـــل آن

من موسى باشا (القائمقام سابقا أى القـــائم مقام السلطان النائب عنه)
الى محمد على

حضرة صاحب السعادة والانسانية ، والرجولة والشجاعة وذوى الجود والكرم والمحبة والمودة أخى الاعز الاكرم .

لقد ورد الى محبكم الصادق ، هذا ، خطاب سعادتكم الذى تكرمتم بارساله فاطلعنا عليه واحطنا بمفاده ، ومزاياه الســـامية التى جعلتنا نشعر بسرور كبير وباكبار جليل ، نحو شخصكم الكريم ، اذ علمنا انه قد اتجهت نيتكم الصادقة الى معالجة مشكلة الوهابيين بعـــد دخولكم مصر مباشرة ، حيث تريدون أن تتفرغوا هناك تفرغا تاما لاعداد العتاد الحربى ووسائل القتال اللازمة لمقاتلة الوهابيين وانزال الهزيمة بهم . واستئصال شأفتهم من البلاد التى احتلوها استئصالا كليا وأنه حدث عندكم أن بعض الجنود تذمروا ، من تأخر صرف رواتبهم ، فأخذوا يشتكون ويرفعون أصواتهم بالشكوى أمـــام اخوانهم الآخرين الذين

وثيقـــة رقم (١)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ـــ القاهرة •

وحدة حفظها : دفتر (١) معية تركى •

رقمها فى وحدة الحفظ : (٥٧) •

تاريخها : غرة محرم ١٢٢٦ هـ / ٢٦ يناير ١٨١١ م •

موضوعها : ذهاب محمد على الى السويس ، من أجل تحميل الغـــلال على سفن الضاو ، وافادة تحرك جيش « طوسون » بعد عودة والده من السويس •

« صورة القائمة المحررة الى الكتخدا ، الأفندى بالباب العالى ، لبيان أن مولانا ولى النعم ، يشرف الســـويس ، ويحمـــل مأتى ألف أردب من الغلال ، على سفن الضـــاو الموجودة ، البالغ عـــددها ثلاث وعشرين سفينة ، وان جيش مولانا صاحب الدولة « طوسون أحمد باشا » يخرج الى بركة الحج[1] بعد عودة ولى النعم من السويس •

« كما حررت وأشعرت اليك حينما كنت بالاسكندرية ، فستعلم من تحريرى أنى أخرج جيش « طوسون أحمد باشا » الى بركة الحج، بميعاد ثلاثين يوما ، وبناء على ان الحركة مقررة وفق تعهدى المذكور ، حررت أوراقى الى محافظى السويس ، والقصير ، بشأن ضبط سفن

---

(١) بركة الحاج : احـــدى نواحى مركز شـــبين القناطر ، محافظة القليوبية ، وقد عرفت ببركة الحاج ، لنزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة الى الحج ، كل سنة ، ونزولهم بها عند العودة .

الضاو ، الموجودة فى هذين المرفأين ، وقد ورد الى طرفى الأخبار ، بأنه قد ضبطت فى مرفأ القصير خمس سفن ، وفى مرفأ السويس عشر سفن ، من سفن الضاو ، كما هى الموجودة فيهما ، وقد أنزلت فى البحر ثمانى سفن من سفن الضاو ، مما أنشأتها سوى تلك السفن ، وحملت مأتا ألف أردب من القمح على الجمال وارسلت الى السويس بتحميل تلك الغلال على سفن الضاو ، الثلاث والعشرين المذكورة ، ومن جانب آخر يتعاقب ويتواصل ارسال غلال أخرى ، الى المرفأ المذكور والى مرفأ القصير ، ووضعها فى المخازن ، وحيث لم تكف سفن الضاو السالفة البيان ، لتحميل الغلال ، ذهبت أنا بالذات الى السويس يوم تاريخ قائمتى ، راكبا على الهجين ، لارسال خمس سفن حربية لنا انشئت وأنزلت فى البحر ، احداها من صنف بريق ، وثانيتهما سفينة الرمى بالقنابل ، وثلاث سفن من صنف الفرقتة « فرقتين » حسبما تم تجهيزها بتدارك المدافع اللازمة لها ، من قلاع الاسكندرية ، ومن هنا وهناك ، مع تدارك صواريها من صوارى الجروم[٢] والزوارق وقتيا بالصنع منها صوارى مضببة « ملبسة » ووضعها وتركيبها فى تلك السفن ، ولتسيير السفن الخمسة المذكورة ، من الآن الى جهات مرافىء « جدة » ، « وينبع » ، « واليمن » لأخذ سفن الضاو الموجودة بكثرة ، فى تلك المرافىء ولجلبها بأجورها ونولها الى القصير ، فعقب رجوعى من السويس ، بختام مصلحتى هناك أخرج جيش ولدى الباشا المومى اليه حالا ، الى بركة الحج ، والى أن تتم بعض النواقص بمنه تعالى ، ترجع السفن المسيرة، لجلب سفن الضاو ، بسفن كلية متوافرة ، كما ترد سفنى الحربية الكبيرة ، التى هى فى طريق سيرها دورا من وراء افريقيا ، الى مرفأ السويس ، فحينما أرسل ولدى المومى اليه ومن بمعيته ، بتحميل المهمات والذخائر واركاب العساكر المرتب ارسالهم معها بحرا ، فى تلك السفن والمراكب ، لا محالة أتوجه عقب ذلك واذهب بالذات ، مستصحبا

---

(٢) الجرم (جريم) : نوع من المراكب النيلية ، يجمع على جروم ، كما ذكره المقريزى فى الخطط .

وثيقـــة رقم (١)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ــ القاهرة •

وحدة حفظها : محفظة رقم (١) بحر برا •

رقمها فى وحدة الحفظ : (٢٢) •

تاريخها : ٢٣ محرم ١٢٢٥ هـ / ٢٨ فبراير ١٨١٠ م •

موضوعها : طلب المسئولين فى الدولة العثمانية ، من، محمـــد على ، الاهتمام بمسألة الحجاز ، وبدء محمد على الاهتمام باعداد المهمات اللازمة للحملة •

من عبـــده سليمان

الى ولـــى النعـــم

حضرة سيدى ، ولى النعم ، كريم الشيم ، صاحب الدولة والعناية والعطوفة ، تفضلتم وأرسلتم الى طرف عبـــدكم ، الافادة الواردة ، والمحتوية على أنه حصل التفضل بالعفو عن : جرائم الأمراء المصرية ، وأجرى الصلح معهم ، بربطهم ببعض الشروط ثم اقعدوا فى داخل مصر، وفى المحل المسمى «جيزة» ، وانه بالنظر الى قحط وقلة الغلال، بسبب حلول آخر السنة فى هذا الأوان ، ستجمع الغلال اللازمة ، حين ظهور المحصول الجديد، بمقدار كافى ووافى، الى مينائى « القصير، والسويس » وترسل بضعة آلاف ، من العساكر البيـــادة ، الى جهنى « جـــدة » و« ينبع » ، وبعده ترسل العساكر السوارى المهيأة ، سواء كان واليا الشام، وبغداد ، قاما بالمعونة أو لم يقوما بها، وان جميع اللوازم جاهزة وحاضرة ، غير انكم تفضلتم وطلبتم ، ما هو غير موجود بذلك الطرف ، من عدد عربات المدافع،وقليلا من المهمات،وكذلك تفضلتم بارسال البيان، عن أنه بالنظر الى العشرين مركب الجارى انشائها فى جهة السويس ،

وثيقـــة رقم (٤)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ــ القاهرة .

وحدة حفظها : محفظة رقم (١) بحر برا .

رقمها فى وحدة الحفظ : (٢٦) .

تاريخها : ١٣ صفر ١٢٢٥ هـ / ٢٠ مارس ١٨١٠ م .

موضوعها : طلب محمد على مدافع وقنابل من أنواع مختلفـــة لتزويد الحملة بها واستجابة الدولة العثمانية لهذا الطلب .

« من : عبـــده ســـليم ثابت

الى : ولـــــى النعـــــم

« حضرة ولى النعم ، الشفوق برعيته ، مولاى وسلطانى ان مكاتبتكم السنية ، المرسلة بمعرفة عبدكم الساعى ، المتضمنة التماس ارســـال المهمات المطلوبة المقتضية ارسالها من الآستانة العلية ، بمقتضى الكشف لجيش دولتكم ، المقرر ارساله بتوفيقات الله تعالى ، من صوب ولى النعم الى الأقطار الحجازية ، لتطهير الحرمين المحترمين بعنـــاية الله الملك المعين ، من لوث وجـــود الخارجية قد وصـــلت الى يد عبدكم ، وقدمت فى الحال الى الباب العالى ، وانه بناء لتقرر ترتيب وارسال احدى عشر ألف ، من الموجود بمصنع المدافع العامرة ، وثمانية عشر ألف من الموجود بمصنع « براوشته » البالغ مجموعه تسعة وعشرين ألف من القنابل المدورة ، واحدى عشر ألف قنبلة خميرة ، من صنعها ،

وثيقـــة رقم (٥)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ــ القاهرة •

وحدة حفظها : دفتر (١) معية تركى •

رقمها فى وحدة الحفظ : (٦٥) •

تاريخها : غرة ربيع الأول ١٢٢٦ هـ / ٢٦ مارس ١٨١١ م •

موضوعها : الاستعدادات التى يبذلها محمد على لاعداد حملة الحجاز ، وأهمية وجود يوسف باشا كنج على رأس «ولاية الشام»، لانجاز مصلحة الحجاز •

« من : محمد على

الى : نجيب أفندى

« أخـــــى :

لو كنت علمت ، أن لهذه السفن تكون جلبة وضوضاء بهذا المقدار ، ما كنت لأجرىء على التعهد ، ولا كان هذا الأمر ليتراءى لى أنه يمكن لى القيام به ، فلو حكيت ما صرفته لحد الآن فى هذه المسألة ، ربما يظن انه خلاف الواقع ، بل لا يعتمد عليه وكنت اشتريت سفينة فقط ، بمأتى كيسة نقدية ، وقد مضت سنة منذ أرسلتها باركاب جبل عطار عليها ، لنقلها الى السويس ، وكم تكون مصروفات هذه السفينة ، وازوادها فى مدة سنة كاملة ، وحينما كنت أنت هنا ، كنت رأيت الورق الذى كتبه الى طرفنا الربان المذكور قائلا فيه ، انى اشتريت سفينة أخرى ، بثمن ثلاثين ألف ريال وأسيرها دورا ، من وراء افريقيا ، وعشرون سفينة على عشرين ذراعا سميناها سفن الضاو ، حيث ركزت فيها الأعمـــدة من أعمدة مانيقو (خرطوم التهوية القماشى القائم فى داخل السفينة) ،

وثيقـــة رقم (٦)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ــ القاهرة .

وحدة حفظها : دفتر (١) معية تركى .

رقمها فى وحدة الحفظ : (٦٦) .

تاريخها : ٢٥ ربيع الآخر ١٢٢٦ هـ / ١٩ مايو ١٨١١ م .

موضوعها : الأخبار عن استعداد الشريف غالب للتعاون مع محمد على ، واستعداده لمساعدة الجيوش عند وصولها الى الحجاز .

« صورة ما حرر الى الكتخدا أفندى بالباب العالى ، لافادة أن حضرة الشريف أرسل من تلك الحوالى ، من العقبة الى المدينة المنورة ، من أولاد مشايخ العربان وتعلقاتهم ، والاستشارة بشأن التفضل على حضرة المشار اليه ، من الجانب الهمايونى ، اذا وافقت الارادة السنية على ذلك .

« ان سفائننا التى تنشأ فى ساحة السويس ، على وشك الانتهاء من الانشاء جميعا ، والسفن الست الأخيرة ، الجارى انشاؤها على سقالاتها « قواعد انشائها » ، ستنزل فى البحر فى اليوم الخامس عشر من شهر جمادى الأولى هذا[١] ، ولكن كان بدىء فى انشاء سفينة فى سبع وعشرين ذراعا ، لئلا تتلف بقية أخشاب العمارة ، وهى أيضا يتم انشاؤها فى آخر الشهر المذكور ، وكان ما أرسلته لجلب سفن الضاو ، من سفنى التى احداها سفينة بريق[٢] ، وأخرى منها سفينة بومبة ، « لرمى

---

(١) ٧ يونيه ١٨١١ م .

(٢) نوع من السفن الحربية وقد سبق بيانه ويكتب على صـــورة (بريق ــ بريك ــ ابريك) .

وثيقـــة رقم (٩)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ــ القاهرة .

وحدة حفظها : دفتر (١) معية تركى .

رقمها فى وحدة الحفظ : (٧٠) .

تاريخها : ٩ شعبان ١٢٢٦ هـ / ٢٩ أغسطس ١٨١١ م .

موضوعها : الأخبار عن تسيير قوات المشاة بحرا ، على قسمين فى ثلاث وستين ســـفينة ، واشتغال محمـــد على بتجهـــيز جيش الفرسان ، وتسييره تحت قيادة « طوسون باشا » .

« قد كان بين وأفيد فى عريضة لى سابقة ، عن نقل العساكر المشاة المقرر ارسالهم الى الحجاز بحرا ، البالغ عددهم سبعة آلاف جندى ، الى « مرفأ السويس » ، صحبة عبدكم ، وها نحن لما وصلنا الى المرفأ المذكور ، مع هؤلاء العساكر ، أركبناهم فى ثلاث وستين سفينة ، كانت مهيأة « بمرفأ السويس » بناء واستئجارا ، بترتيبهم على قســـمين ، فأرسل القسم الأول منها من « السويس » فى اليوم التاسع عشر من شهر رجب الفرد[١] ، على أن يصلوا توا الى « مرفأ ينبع » ، وأرسل القسم الآخر من هؤلاء العساكر فى خامس شهر شعبان الجارى[٢] ، على أن يجتازوا ويمروا بمرفأى « مويلح » ، « والوجه » (و ش)[٣] ،

---

(١) ١٩ رجب ١٢٢٦ هـ / ٩ أغسطس ١٨١١ م .

(٢) ٥ شعبان ١٢٢٦ هـ /٢٥ أغسطس ١٨١١ م .

(٣) المويلح ، قرية بها مركز ، فى امارة تبوك على خليج العقبـــة ، والوجه : بلدة ذات قرى ، امارتها ملحقة بامارة تبوك : انظر ، الجاسر حمد : المعجم المختصر ، ق (٣) ، ص١٤٤٢ ، ص١٥٠٥ .

وثيقة رقم (١٠)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ــ القاهرة

وحدة حفظها : دفتـــر (١) معية تركى ص ١٧٢ .

رقمها فى وحدة الحفظ : (٧٢) .

تاريخهـــا : غرة رمضان ١٢٢٦(*) ــ ١٩ سبتمبر ١٨١١ م .

موضوعها : الاشعار عن سفر حملة طوسون .

« صورة القائمة المحررة اشعارا عن خبر حركة مولانا صـــاحب الدولة « طوسون أحمد باشا » من بركة الحج مع جيشه .

وكان أنهى سابقا الى الباب العالى ، وعرض أركاب العســاكر فى ثلاث وستين سفينة ، وارسالهم بحرا الى الحجاز ، تحت قيـــادة الأغوات ، رؤساء البوابين (الحجاب)(**) المستخدمين بمعية هـــذا الخادم المطيع : بترتيبهم على قسمين مع التنبيه لقائدى هذين القسمين بايصال القسم الأول منهما توا الى مرفأ ينبع وامرار القسم الآخـــر بمرفأى مويلح والوجه (وش) وابقاء المقدار الكافى من العســـاكر والذخائر فيهما ثم الذهاب بالباقى الى « ينبع » أيضا وبسائر ما يلزم من التعليمات وان ولدى عبدكم الحاج « طوسون أحمد باشا » يرحل الى جهة مأموريته مع جيشه عقب انتهـــاء تجهيز ما رتب من الـــزاد والذخيرة للمحلين المدعوين ، نخيلة ، والعقبة ، والواقعين فى الطريق المستقيم برا .

(*) فى الأصل غرة رمضان سنة ١٢٢٨ وصوابه سنة ١٢٢٦ كما يظهر من المحررات السابقة واللاحقة .

(**) يعنى الحائزين لرتبة رياسة البوابين .

وثيقـــة رقم (١١)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ــ القاهرة

وحدة حفظها : دفتر (١) معية تركى

رقمها فى وحدة الحفظ : (٧٣)

تاريخهـــا : غرة رمضان ١٢٢٦ هـ / ١٩ سبتمبر ١٨١١ م ٠

موضوعها : وصول القوات البحرية الى مينائى « ينبع » ، و« مويلح » ٠ واخلاء الحامية السعودية لهذين المينائين ٠

« بينا أنا على وشك أن أخرج وأوجه سعاتى هؤلاء نحوكم ، اذ ورد بريد الصحراء المزدوج ، بنجابين[١] الى مصر من مرفأى « ينبع » ، و« مويلح » ، فى عشرة أيام ، بأوراق عربية من قائدى القسمين ، من العساكر المرسلة سابقا ، باركابهم على السفن ، ومن مضـــامين تلك الأوراق ، أنهم حينما تقربوا الى المرفأين المذكورين ، ووقع نظـــر حشرا تالوهابية المأمورين بالمحافظة والحراسة فى تلك الجهـــات ، المقيمين هناك على جنودنا ، استولى الرعب والفرق على هؤلاء الحشرات من عند الله فى الحال ، فاتجهوا نحو تخليص أرواحهم ، من غير أن يخطر ببالهم ، أن يظهروا بمظهر المقابلة والمحاربة ، ورغبـــوا فى الاستئمان من قوادنا حتى خلوا القلعتين المذكورتين ، بأخذ أموالهم وأشيائهم على أمان ، فجفلوا منهزمين ، الى جانب « المدينة المنورة » ، فانتزع عساكرنا المذكورة مرفأى « ينبع » ، و« مويلح » ، المذكورين من أيدى الروافض ، من غير محاربة ولا مغالبة ، وتيسر لهم ــ تسخيرهما

---

(١) النجاب : راكب الابل النجب ، كان يستخدم فى البريد المستعجل فى الصحارى ٠

وثيقـــة رقم (١٢)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ــ القاهرة

وحدة حفظها : دفتر (١) معية تركى

رقمها فى وحدة الحفظ : (٧٤)

تاريخهـــا : ١٦ رمضان ١٢٢٦ هـ / ٤ أكتوبر ١٨١١ م .

موضوعها : كيفية الاستيلاء على « قلعة ينبع » ، وعدم وضوح موقف الشريف غالب ، وايضاح صعوبة الملاحة فى البحر الأحمر.

« صورة القائمة المحررة ، المرسلة مع العريضة الواردة من السيد أحمد ، وكيل مويلح ، عن فتح قلعة « ينبع » وتسخيرها » .

« كتب الى طرف هذا الخادم المطيع ، وكيلنا المقيم بقلعـــة « مويلح » ، السيد أحمد ، حسبما بلغه : أن العساكر المشـــاة الذين أرسلوا على فرقتين اثنتين بمعية قوادهم ، بتسييرهم سابقا من « مرفأ السويس » حسبما رتبوا ، لجانب الحجاز بحـــرا باركابهم فى ثلاث وستين سفينة ، على أن تذهب الفرقة الأولى فيهما توا ، الى مرفـــأ « ينبـــع » وعلى أن تمـــر الفـــرقة الأخـــرى بمرفأى « مويلـــح » و « الوجه » (وش) ، وتبقى هناك مقـــدارا كافيا ، من العســـاكر والذخائر ، ثم نذهب بالباقى الى مرفأ « ينبع » قد ضبطت الفـــرقة الثانية من هاتين الفرقتين ، مرفأى « مويلح » و « الوجه » ، بمنه وكرمه تعالى ، ولما وصلت فرقة ينبع المرسلة أولا ، الى محل قريب من مرفـــأ « ينبع » بمدى طلقات المدافع ، وبعثوا خبـــرا الى الوزير المأمـــور بالمحافظة والحراسة بذلك المرفأ ، من طرف شريف مكة ، واستأذنوه عما يرضى به من الدخول ، من غير حرب ولا مشقة ، أو بالحرب ، أجاب الوزير المومى اليه ، بأننا لا نقدر أن نجيب برأينا ، بل نستعلم ذلك

وثيقة رقم (١٢)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ــ القاهرة .

وحدة حفظها : دفتر (١) معية تركى .

رقمها فى وحدة الحفظ : (٤٦) .

تاريخها : غرة رمضان ١٢٢٥ هـ / ٣٠ سبتمبر ١٨١٠ م .

موضوعها : حصر بالمهمات والمدافع اللازمة للسفن التى انشئت بمرفأ السويس لمهمة سفر الحجاز .

مايلزم لسفينة فوروت من المدافع والعربات مدفع مع عربة

عدد	قنبلة (كله)
٢٤	عدد
فية	٢٤٠٠
٥ أقة	

ما يلزم لسفينة بريك من المدافع والعربات

عدد	قنبلة (كله)
١٨	عدد
فية	١٨٠٠
٣ أقة	

ما يلزم لسفينة بمبة (سفينة الرمى بالقنابل) من المدافع والعربات

عدد	قنبلة (كله)
١٨	عدد
فية	١٨٠٠
٣ أقة	

ما يلزم لسفينة فورت من كلاب حديد (شنكل) وانجر حديد (جيا)

الهلب	كل واحد منها بوزن قنطار	كل واحد منها بوزن قنطار
٤	١٥	١٢

وثيقـــة رقم (١٣)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية — القاهرة

وحدة حفظهـــا : دفتر (١) معية تركى

رقمها فى وحدة الحفظ : (٧٥)

تاريخهـــا : ٢٣ رمضان ١٢٢٦ هـ / ١١ أكتوبر ١٨١١ م ٠

موضوعها : أحداث الاستيلاء على « قلعة ينبع » وعدم وضوح موقف الشريف غالب ٠

« صورة تحرير أرسل مع سليم أغا جوقدار الباب تبشيرا بفتح ينبع البحر وتسخيرها مع أخذ ثلاثة ورأبعين مدفعا من المدافع السلطانية ٠

« كان وقع الاشعار ، فى عريضتنا الأولى ، المرفوعة الى العتبـــة العلية ، مع عبيدكم سعاتى ، عن الفتوحات الواقعة من طرف فرقة « ينبع » العسكرية الأولى فقط ، من الفرقتين العســـكريتين اللتين أرسلتا بحرا ، قبل مدة ، على ما كان كتب الى طرفنا السيد أحمد ، وكيلنا المقيم بقلعة « مويلح » ، قبل عدة أيام ، مع التذكار فى عريضتنا المذكورة ، أنا نبشر خاصة مع عبدكم سليم اغا جوقدار الباب ، أن ورود التحريرات من القواد البحرية ، فهاهو قد وردت عدة معروضات فى الايلة التاسعة عشر من شهر رمضان الجارى[1] من ربان ســـفينة الفرقة وقائد القسم المذكور ، حسن اغا ، رئيس بوابى الدركاه العالى، ومن البكباشية بمعيته ، ومن السيد محمد طاهر أفندى عبدكم ، كاتب ديواننا ، المرسل معهم ، تعيينا له ، بأمانة المنزل ، لادارة الجيـــوش ، ومن المفتى وقاضى الشرع ، وسائر الاشراف « بينبع » ، وعلم من مآلها، ان الاغا المومى اليه ، لما وصل بسلامة الله تعالى مع العساكر المنصورة، الذين استصحبهم الى المحل المدعو « شرم » ، القريب من مرفأ « ينبع »،

---

(١) ١٩ رمضان ١٢٢٦ هـ / ٧ اكتوبر ١٨١١ م ٠

وثيقـــة رقم (١٤)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ــ القاهرة

وحدة حفظهـــا : دفتر (١) معية تركى

رقمها فى وحدة الحفظ : (٧٦)

تاريخهـــا : ٢٣ رمضان ١٢٢٦ هـ / ١١ أكتوبر ١٨١١ م ٠

موضوعها : تذبذب موقف الشريف غالب ، والتهديد بتعيين شريف آخر ، أميرا لمكة المكرمة ٠

القائمة الجوابية المحررة الى الباب العالى « على مقتضى ما ورد من طرف ولى النعم من قائمة كان أرسلها » ، حضرة الشريف الى الدولة العليا تـــوا ٠

« كان وقع الرجا فى عريضتى سابقا ، بشأن التفضل على حضرة صاحب السيادة ، الشريف غالب بن مساعد ، أمير مكة المكرمة ، من طرف حضرة السلطان ، اما بخط شريف أو بهدية مناسبة ، بناء على ملاحظة بعض الأسباب والحكم ، فظهر أنه لما لخصت عريضتى تلك ، مقدمت الى العتبة السلطانية ، صدر الخط الشريف المبارك ، محفوفا بالشرف ، بأنه لا يلزم ارسال شىء من طرف حضرة السلطان ، ما لم يرد من محمد على باشا ثناء واف ، من كل الوجوه ، فى حق حضرة الشريف المشـــار اليه ، على تجريب ، وقد وصل أمركم السامى المنبىء عن صدور هـــذا الخط الشريف ، ووصل أيضا أمركم السامى الآخر ، المفيد بسبق المذاكرة والتفكير فى مجلس الشورى ، بشأن تقرير ما هو الغرض من التخالف الواقع فى المآل ، بين قائمة قدمها الشريف المشار اليه توا ، الى العتبة العليا ، مستقر العدالة وبين قائمته التى كانت وردت الى صوب هـــذا المخلص ، فأرسلت الى الباب العالى قبل ، واستقرار رأى المجلس على

وثيقـــة رقم (١٥)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ــ القاهرة

وحدة حفظهـــا : دفتر (١) معية تركى

رقمها فى وحدة الحفظ : (٧٧)

تاريخهـــا : ٥ ذى القعدة ١٢٢٦ هـ / ٢١ نوفمبر ١٨١١ م

موضوعها : الافادة عن المراحل التى وصلت اليها الحملة ، حتى فتـــح « ينبع » واستئمان بعض العربان •

———

صورة القائمة المحررة الى الباب العالى تبشيرا بفتح ينبع البر وتسخيرها •

« وكان وقع الايماء والاشارة الى مقامكم السامى ، فيما تقـــدم عن كيفية فتح « ينبع البحر » وان هذا الفتح ، حصل بايدى الصنف المسير أولا ، من العســـاكر المشاة ، وان الصنف الثانى منهم المسير من ورائهم لم يلحقهم بعد ، فها هو الصنف الثانى قد وصلوا بعد ذلك ، ولما اجتمع الصنفان المذكوران السابق واللاحق ، استشار القواد فيما بينهم ، انه لو كان لهم خيول لوقعت حركتهم نحو المدينة المنورة ، من غير انتظار الى وصول القائد العام (سر عسكر) الباشا ، لكنهم حيث كانوا فى حاجة من عدم وجود خيول عندهم ــ الى ورود جيـــش الفرسان ، أقاموا فى خارج « ينبع البحر » وبيناهم يرسلون رســـائل التأليف والاستمالة الى صنوف العربان ، اذ هاجم الملعونان المدعوان « ابن جبارة » و« مسعود بن مضيان » ، أخصا أصدقاء الســـعود المردود رئيس الخوارج ، واعظما رؤساء أنصاره ، مع ما استصحباه من حشرات لا تعد ركبانا على الخيول والهجين ، وحملوا على العساكر

وثيقـــة رقم (١٦)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ــ القاهرة

وحدة حفظهـــا : دفتر (١) معية تركى

رقمها فى وحدة الحفظ : (٧٨)

تاريخهـــا : ٥ ذى القعدة ١٢٢٦ هـ / ٢١ نوفمبر ١٨١١ م

موضوعها : الأخبار عن انحياز كثير من قبائل العربان الى جانب جيش « طوسون باشا » ، ودور « نصر الشديد » فى استجلاب قلوب شيوخ قبائل العربان .

« صورة ما حرر أيضا مشتملا على تبعية بعض العربان وعلى بعض الشـــئون » .

« قد كان حرر وأعلم ، فى متن قائمة الخادم المطيع ، مدح الجيوش والعساكر الحجازية ، واطراؤهم ووصف العشائر والقبائل بالضعف ، كأن مصلحة الحجاز شىء طفيف لا أهمية له ، ولكن تبين أن حقيقة الحال، ليست كذلك ، بل هذه المصلحة من أعظم المهام ، وأجسم الامور الواجبة الاهتمام ، لأن سعودا رئيس الخوارج ، من محض احتياله وخديعته ، يتظاهر بمظهر تطبيق حركاته وسكناته ، بالفتوى والتقوى أولا ، بالمنع عن حالات البدع ، والآثام ، والنهى عنها وازالتها من الحوالى الحجازية ، بالمرة ، ويتوزع ما جمعه من أموال الاعشار ، على مشايخ القبائل وبذلها لهم ، وباغناء كثير من الادنياء الفقراء المعتزلة برفع واعـــلاء مراتب مقادير كثير من آحاد العرب ، وتفخيم شأنهم وتقويتهم من كل الوجوه، حتى جعلهم أصحاب ثروة وعشيرة ، وبهذه الطريقة استجلب العـــربان

وثيقـــة رقم (١٧)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ــ القاهرة

وحدة حفظهـــا : دفتر (١) معية تركى

رقمها فى وحدة الحفظ : (٧٩)

تاريخهـــا : ١٩ ذى الحجة ١٢٢٦ هـ / ٤ يناير ١٨١٢ م

موضوعها : أحداث معركة « قرية سويقة » وابراز ضخامة القـــوة الســـعودية .

« صورة القائمة المحررة عن فتوحات حسين أغا ، رئيس قـــواد الكشافة « سرجشمة دليلان » بالحجاز » .

« ان ما أرسل بحرا وبرا ، لجانب الحجاز ، الواجب الاعزاز ، من الجيشين البرى والبحرى ، ولما وصلوا الى « ينبع البر » واجتمعوا هناك ، واكتروا الجمال اللازمة ، وأبقوا أثقالهم « بينبع البحـــر » واستصحبوا العليق والماء ، والذخائر الحربية ، وسائر المهمات اللازمة فقط ، ، وقام الجيشان المذكوران ، بمعية عبدكم الحاج « طوسون أحمد باشا » القائد العام ، على جميع هؤلاء العساكر ، وقصدوا نحـــو « المدينة المنورة » ، تيسر لهم الوصول بفضل الله تعـــالى الى مرحلة « بدر حنين » (٢) الشريفة فى اليوم الخامس عشر من شهر ذى القعدة

---

(١) وجدت هذه الوثيقة ، ضمن محررات ١٩ ذى الحجة ١٢٢٨هـ / ١٣ ديسمبر ١٨١٣ م ، والصواب أنها من محررات ، ١٩ ذى الحجة ١٢٢٦هـ/ ٤ يناير ١٨١٢ ، كما هو واضح من المحررات السابقة واللاحقة .

(٢) بدر حنين : الآن بلدة فيها امارة ، بمنطقة امارة المدينة ، الجاسر ، حمد ، المصدر السابق ق (١) ، ص ٢٦٤ .

وثيقـــة رقم (١٨)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ــ القاهرة

وحدة حفظهـــا : دفتر (١) معية تركى

رقمها فى وحدة الحفظ : (٨٠)

تاريخهـــا : ٢٧ ذى الحجة ١٢٢٦ هـ / ١٢ يناير ١٨١٢ م ٠

موضوعها : احداث معركة « وادى الصفراء » ، وهزيمة قوات محمد على ، ومطالبة محمد على ، بابعاد سليمان باشا ، عن «ولاية الشام » ، وتعيين يوسف باشا كنج لهذه الولاية ٠

« صورة العريضة المحررة الى حضرة اغاة دار السعادة الشريفة ، (كبير أغوات الحريم السلطانى) ، وقد أشعرنى مرسومكم السامى ، الذى تفضلتم بارساله ، الى صوب عبدكم فى هذه المرة ، ان عريضة مملوككم ، التى كنت استجرأت على تقديمها سابقا ، الى تراب اقدام الحضرة السلطانية ، تخطيا لحدى ومرتبتى ، لدى رفعها ، بمعرفة ولى النعم ، الى العتبة الملوكية ، زان صحيفة الصدور ، بمزيد الشرف ، خطان شريفان مصحوبين بالمهابة ، مع الامر والارادة السنية الملوكية ، تفصيلا من صوب دولتكم ، الى طرف عبدكم ، لافادة السماح ، بكتابة ما يتعلق بعبدكم ، من بعض الامور المهمة ، بعد الآن ، الى طـــرف دلتكم ، توا دون كتابته الى طرف الباب العالى ، والواقع ياسيدى ، ان سادتنا وكلاء الدولة حفظهم الله ، يحملون ما احرره واقدمه اليهم ، لدى الاضطرار الى الاستمداد منهم ، من كتب الرجاء ، على معان غير معانيها فيقررونها ، لدى الركاب الخسروى الأنور ، المستنير كاستنارة القمر ، على وفق ما يتحملون لها من المغازى والمرامى ، فيتسببون الى عدم السماح ، بمر «جوالى » فيبقى أكثر المصالح المهمة لعبدكم عاطلا ،

غير قابل للتدبير ، ولا سيما أنى لما انهيت اليهم مرارا وتكرارا ، وقلت لهم انكم اذا تفضلتم بمنصب الشام ، على يوسف باشا كنج ، اجهز المشار اليه ، وأودى جميع مصروفاته ولوازم عساكره ، فيرحل من جهة الشام ، ويزحف الى جانب الحجاز ، فيسهل انجاز المصلحة ، بناء على وقوع التدبير والحركة ، من الجانبين ، بهذه الصورة ، لتلك الخدمة الخيرية ، حملوا ذلك على اجراء نفسانى ، فى حق سليمان باشا ، وعلى التحيز والمراعاة لجانب يوسف باشا كنج ، فتسببوا الى بقاء هذا المسئول الضرورى مسكونا عنه لحد الآن ، افتقول هذا حسن ، أم ماذا تقول ، فربنا يصلحهم آمين ، وحيث أن حضرة مولانا السلطان ، صاحب الشوكة والكرامة ، ولى نعم العالم ، مد الله عمره واقباله ، سلطان له آراء ، تنبى عن الكرامات ، ممتثل بالشريعة الغراء ، عارف بما يفرق به بين الصادق والكاذب ، وبما يميز به بين أصحاب الاغراض، وأرباب الحق ، لا كالسلاطين السابقة ، يرجع هذا الصنف من وكلاء المصاحة ، ولابد الى الصلاح فى زمان شوكته وسلطنته ، وليس لعبدكم شك فى ذلك يا مولاى ، ولى النعم ، لماذا يكون عبدكم على قصد اجراء الغرض النفسانى ، لسليمان باشا ، مع المشار اليه ، ليس بازيد شأنا من عبدكم ، لا منصبا ، ولا قوة ، ولا قدرة ولا بطولة ، حتى أكون فى اجراء الغرض النفسانى ضده ، من حسدى ، وقد نال هذا العبد الأحقر ، تحت رعاية حضرة السلطان ، ولله الحمد ، ما لم ينله وزير من الوزراء ، ولا رآه فى الرؤيا من العنايات ، التى لا تتناهى والتعطفات التى لا نهاية لها ، ولا سيما انى قد نلت فوق مرتبتى واستحقاقى ، أنواع التلطفات ، بالخطوط الشريفة العديدة ، حتى أصبحت محسود الأقران ، واعرف ذلك جد المعرفة ، واعترف انى قاصر عن أداء شكر المشار اليه ، وليس يوسف باشا أيضا ، لا أخى ، ولا أبى ، ولا ولدى ، ذرة واحدة من واحد فى الألف ، من تلك النعم ، فكيف ولماذا احسد فاكون مظنة الاجتراء ، على ايراث الصداع ، برأس الدولة العلية

المباركة ، بغرض التحيز له ، حتى أن المشار اليه ، لو كان أبى ، أو أخى ، أو ولدى ، كيف يعقل أن يضجر الرجل ولى نعمته ، مراعاة لخاطر والده ، أو أخيه ، أو ولده ، فيكدر صفو النعمة على نفسه ، ان كان مرادى التعرض لاحد هذين المشار اليهما ، والتحيز للاخر فعلى اللعنة فى الدارين حقيقا بها ، واستغرقتنى اللعائن ، فوالله ، وتالله ، ثم بالله ، ان مراد عبدكم حسبما اجزم ، ان سليمان باشا ، لا يقدر أن يقـوم نحو الحجاز ، انه اذا أرسل يوسف باشا الذى حضر عندنا ملتجئا ، الى الشام ، بتجهيزه بجميـع الأسباب السـفرية ، وبكافة اللوازم العسكرية ، يزحف من جهة الشام ، نحو الحجاز ، فى مدة تتراوح بين عشرين يوما ، وثلاثين يوما ، فتنجز هذه المصلحة الخيرية ، مصلحة ولى النعم ، مولاى ، على وجه السهولة ، بناء على وقوع التدبير والحركة، لهذه المصلحة الخيرية ، من الجانبين جميعا ، ولهذه الملاحظة فقط ، كنت ابتدرت الى هذا الرجاء والاصجار ، واما اذا سئل ، وقيل ، يا روحى ، أما كنت تعهدت فى الأصل بانجاز هذه المصلحة وحدك ، من غير انتظار الى المعاونة ، من جهة الشام ، وغيرها ، بلى ، ان الواقع كان كذلك ، ولكن ما كنت قدرت أن أفهم ، حق الفهم اذ ذاك ، مبلغ غنى السعود ، رئيس الخوارج ، والآن ظهر أنه فى الفنى والتجهيز ، بحيث لايملك أهل الذمة ، ولا دول الافرنج ، مثل ما يملكه من النصاب ، وقد سلب هذا الخارجى ، فى زمن قريب ، جميع مصوغات الذهب ، بقبة السـعادة النبوية ، والكوكب الدرى العديم المثيل ، المركوز فى علم القبة الشريفة، المذكورة ، وجميع ما هو مخزون فى حجرة السـعادة الشريفة ، من الخزائن ، والمجوهرات ، فتضاعفت مائة ضعف ما كان يملكه فى الأصل، من النصاب ، ومن ثمة جمع وحشد ، جميع العشائر ، والقبـائل المستقرين ، فى جهات نجد ، ولحسا والدرعية ، والبصرة ، والكوفة ، واليمن ، الى مضيق « الجديدة » و« الصفرة » وسد المضيق المذكور ، بنحو مائة وخمسين ألفا ، من عساكر الوهابية ، والعربان ، من غير مبالغة ، ورتب لكل جندى منهم نصف ريال فرنسى يوميا ، يعطى كلا

منهم هذا القدر من المصروف فى كل يوم ، وانشأ فى يمين المضيق وشماله ، متاريس كثيرة ، للجنود ، وطوابى وافرة ، محلات تعبئة المدافع ، ونقل من « جدة » مدافع ، وقنابل ، ورجال المدفعية الرماة ، وعبأ تلك المدافع ، فى تلك الطوابى ، والحاصل أن الوهابية ، بينما كانوا مختفين فى المتاريس المذكورة ، فى داخل تلك الجبال ، بحيث لا ترى رؤسهم ، منتظرين لورود الجيش الاسلامى ، لمواضعهم ، اذا استصحب عبدكم القائد العام على الحجاز ، ولدى الباشا ، الجيش الاسلامى بغية ادراك موسم الحج ، ليقرىء الاسم الشريف السلطانى ، فى الموسم ، فزحف من مرحلة ، بدر حنين ، مرتبا للصفوف على ذلك المضيق ، يمينا ، ويسارا ، ووسطا ، وهاجم على الوهابيين ، فأخذ يصيب ما يرمى به الوهابيين من القنابل ، والقذائف ، والرصاصات ، اجساد المسلمين ، من غير أن تخطى ، وما يرمى به المسلمون من القنابل ، والقذائف ، والرصاصات ، تقع على الأحجار ، والجبال فى الغالب ، فدامت الحرب من غير انقطاع ، ليل نهار ، خمسة أيام متوالية ، متواصلة ، وفى نهاية الأمر ، أخذ المسلمون من الوهابيين خمسة عشر متراسا ، ودخلوا فيها ، لكن حيث أن الوهابيين فى غاية من الكثرة ، حتى انهم لو ذبحوا ذبح الأغنام ، من غير مقابلة منهم ، لابد وأن يحصل فيمن يذبحهم طول خمسة أيام ليل نهار ، فتور وضعف ، مع أن الفريقين امضيا المدة المذكورة ، بالمحاربة المتقابلة ، فاستشهد ، وجرح ، من المسلمين نحو ألف وهلك من الوهابيين ، حسب اخبار العيون والجواسيس مقدار عشرة آلاف ، ولم تبق فى الفريقين طاقة وقدرة ، وبعد أن انسحب الوهابية الى متاريسهم الخلفية ، رجع عساكر الاسلام ، على تمهل ، من غير أن يبقوا هناك ، حيث نفذ ما معهم من المآكل ، والمشارب ، والذخائر الحربية ، وسائر المهمات ، بسبب امتداد الحرب ، حتى وردوا « ينبع البحر » وأقاموا بها تضميدا لجروح جرحاهم ، وتمريضا لمرضاهم ، وتجديدا وتصلحا لاسلحتهم ، مصممين أن يعيدوا الكرة

فيما بعد ، على المضيق المذكور ، بترتيبات قوية ، ولكن حيث كتب عبدكم الباشا المومى اليه ، الى صوب عبدكم هذا ، ان مقتضى المصلحة ، ارسال جيش من الشبان الأقوياء ، برا ، وبحرا ، زيادة على الموجود هناك ، مع ابراز جيش أيضا ، من جهة الشام ، رتبت فورا ما يزيد على المطلوب من الجيش ، وجهزتهم اكمل تجهيز ، فاخرجتهم خارج مصر ، وقد خيموا هناك ، وفرقة منهم ، قد أرسلت بمنه تعالى الى « مرفأ السويس » يوم تاريخ عريضتى ، بمعية عبدكم أحمد اغا خازنى ، « خزينة دارم » ،و من رؤساء البوابين الحجاب بالدركاة العالى ، مع مواصلة ارسال العساكر الكلية ، والذخائر الوافية بحرا ، وترحيل جيش جسيم متمم برا ، من غير قطع الامداد من ورائهم ، واسعى جهدى هكذا ، فى هذا السبيل ، الى انجاز تعهدى ، مفاديا بروحى ومالى وأولادى وانسبائى واقربائى ، وبجميع ما لعبدكم من العساكر ، بيد أنه بالنظر الى انهاء الباشا المومى اليه ، والى ما فهمه عبدكم ، وجزم به ، حق الجزم ، ان المرور من المضيق المذكور ، يحوج الى التدبير ، والانجاد من جهة الشام ، على كل حال ، ولو أمكن المرور منه بما سير ويسير من مصر ، من الجيش الأول ، والجيش الثانى ، لا محالة تفقد هذه الجيوش قواها ، الى أن تصل الى منتهى المضيق المذكور ، فنكون قد اهلكنا عساكر المسلمين فى غير ما يجدى ، ونقع تحت مسئولية دمائهم ، واما اذا عين من جهة الشام أيضا ، فتكون فى ذلك عبرة عظمى، للعشائر الذين هم تحت امائنا ، وللقبائل الذين هم يتابعون الوهابية فيقولون : ان انجاز هذه المصلحة ، على كل حال مطلوب الدولة العلية، حتى جردت جيشا من جهة الشام أيضا ، فيتعلق بنا العربان الذين هم بمعيتنا تعلقا باليدين ، وارتباطا وثيقا ، ويفض من حول الوهابية شيئا فشيئا من تبعهم من القبائل ، فها هى الفائدة ، التى تترتب على تدبير الحركة ، وتجييش الجيش من جهة الشام ، فمهما تعهدتم بتنظيم ما تقتضيه مصلحة مأموريتنا من المهمات ، لدى اكتفائى بتحريرها الى صوبكم العالى ، فها هو ما تقضى به المصلحة ، وتستوجبه المأمورية ،

طبق ما حرره عبدكم تفصيلاً ، من غير أدنى خلاف ، ولدى التفضل بمطالعة ذلك ، وملاحظته حق الملاحظة ، اذا ارتئى اصرار الجيش الأول ، والجيش الثانى ، فى المرور ، واقتحام ذلك المضيق ، الى أن يهلكوا من غير جدوى ، ووقوعنا تحت مسئولية دمائهم ، بمكان الجدارة ، فليفد بروحى ، ومالى ، وأولادى ، وعساكرى ، وانسبائى ، جميعا ، فى سبيل رضا ولى النعم ، وكل ذلك لمولاى صاحب الشوكة على مداول الحديث الشريف « العبد وما يملكه كان لمولاه » وليس لى ذرة من العلاقة بها ، غير أن أكون كراع لها ، وأما اذا لم يجوز هذه الصورة ، فالمرجو بذل الهمة ، للاسراع فى الترتيب المطلوب من جهة الشام ، بمدة قليلة ، اما بارسال سليمان باشا سريعا ، أو بتوجيه ولاية الشام لوزير آخر ، وايصاله عاجلا ، أو بالانعام بتلك الولاية على يوسف باشا كنج ، الذى لم ازل أرجو ذلك فى حقه ، منذ سنة ، فاذا انعم بها على المشار اليه ، أجهز واتمم ، جميع لوازمه العسكرية السفرية ، بين خمسة أيام ، وعشرة أيام ، وابعثه الى الشام ، فيصل من هناك الى الحجاز ، بين عشرين يوما ، وثلاثين يوما ، وقد حررت هذه العريضة ، عريضة عبدكم المفصلة ، واورثنا الصداع برأس دولتكم ، بتقديمها الى مقامكم العالى ، على رجاء اطلاع عبدكم ، وايقاظه على جناح السرعة ، بما يستحسن ويستوصب من الشقين المذكورين ، وقد ارسلت رسميا القائمة الواردة ، من القائد العام ، الباشا المومى اليه ، لطرف كتخدائنا بالباب ، مع ارسال صورة القائمة المذكورة ، المقابلة بالاصل ، ومكاتبته الواردة ، لطرف كتخدائنا ، طى عريضتى هذه ، فتفهم كيفية المصلحة من السياق ، والسباق ، لدى النظر والملاحظة فيهما ، بنظركم العالى ، وملاحظتكم السامية يا مولاى ، عالى الهمم ، لا يظنن بى ، من تفصيل عريضتى وتطويلها الى هذه الدرجة ، انى خفت من كثرة العدو ، أو اعترافى بأسى وفتور فى مصلحتى ، برب البيت الحرام ، والله ، ثم والله ، ليس فى عقلى ، ولا فى تفكيرى ذرة من هذا القصور وهذه

الملاحظة بل لم ازل أواصل السعى فى تقوية مصلحتى وأحكامها على التوالى والاستمرار وانما وقع الابتدار الى التفضيل والاضجار (وايرث الصداع) لمحض اخبار مقتضى المصلحة ، فالأمر والارادة ، بشـــأن التفضل ، باجراء مقتضى ذلك لمولاى ••• » •

فى ٢٧ ذى الحجة ١٢٢٦ هـ / ١٢ يناير ١٨١٢ م •

يستخلص من هذه الوثيقة :

(١) تفصيل معركة « وادى الصفراء » ، أول معركة برية حدثت بين قوات محمد على ، وقوات الدولة السعودية .

(٢) مدى قوة الدولة السعودية ، وامتداد نفوذها الى كثير من جهات شبه الجزيرة العربية .

(٣) استغلال محمد على لهزيمة قواته ، وتجديد المطالبة بابعاد سليمان باشا ، عن ولاية الشام ، وتعيين يوسف باشا كنج مكانه ، حتى يتم التعاون فيما بينهما لانجاز مصلحة الحجاز .

انظر بخصوص معركة الصفراء :

— عبد الرحيم عبد الرحمن ، الدولة السعودية الأولى ، ط٤ ، ص٣١٥

— الجبرتى ، عبد الرحمن بن حســـن ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ج ٤ ، ص ص ١٣٧ — ١٣٨ .

المصادر والمراجع

١. الآلوسي : السيد محمود شكري ، تاريخ نجد ،حققه / محمد بهجة الأثري ، مكتبة المدبولي ، القاهرة، (د.ت).

٢. أوزتونا : يالماز ، تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، ط١ ، ١٤٠٨ ، مؤسسة فيصل للتمويل التركي ، ترجمة/ عدنان محمود سلمان ، إستنبول.

٣. أوغلي: أكمل الدين أحسان، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ،ج٢، ١٩٩٩،مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستنبول، ترجمة/ صالح سعداوي.

٤. البتنوني : محمد لبيب ، الرحلة الحجازية ، ط٢ ، ١٣٢٩هـ ، الجمالية ، القاهرة.

٥. بدوي: جمال، محمد علي وأولاده، ١٩٩٩م، مكتبة الأسرة، القاهرة.

٦. البسام : عبدالله محمد ، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق ، تحقيق / إبراهيم الخالدي ، ط١، ٢٠٠٠م ، شركة المختلف للنشر والتوزيع ،الكويت .

٧. البسام : محمد النجدي، الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر، د.ن، د.ط، نسخة من الشبكة العنكبوتية(في مكتبتي)، (د.ت).

٨. بريدجز :هارفرد جونز، ١٤٢٥ ، ترجمة/عويضة بن متيريك الجهني ، دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض.

٩. ابن بشر: عثمان ، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١، ط ١٤٣٠،ا مكتبة الثقافة الدينية، الرياض .

١٠. بوركهارت : جوهان لودفيج ، مواد لتاريخ االوهابيين ، د.ن ، جامعة الملك سعود ، ترجمة/ د.عبدالله صالح العثيمين، (د.ت).

١١. البلادي : معاجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، عاتق بن غيث ، ط١، ١٤٠٢-١٩٨٢، دار مكة للطبع والنشر، الرياض .

١٢. جارشلي: إسماعيل حقي،أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني، ط١، ٢٠٠٣م، الدار العربية للموسوعات، بيروت.

١٣. الجاسر: حمد، معجم القبائل العربية. نسخة كتاب من الشبكة العنكبوتية(في مكتبتي).

١٤. الجبرتي: عبدالرحمن حسن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ،ج٣، ج٤ ، طبعة بولاق، ١٩٩٨م / تحقبق/ا.د.عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، مطابع دار الكتاب المصرية، القاهرة .

١٥. الحمودي: عبدالرحمن بن محمد، الدبلوماسية والمراسم السعودية، ط١، ج١، ١٤٢٠هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض.

١٦. الحلواني : سعد بدير ، العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن١٩ ،ط٢ ،١٤١٥هـ-١٩٩٥م، (د.ن).

١٧. الحيدري البغدادي: إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله، عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد، ط٢، ١٩٩٩م، مكتبة المدبولي، القاهرة.

١٨. دار الوثائق القومية ، محمد علي إلى رؤساء الجند ، محفظة (٣) بحر برا، وثيقة (٨٢) بتاريخ ١٥ محرم ١٢٢٧هـ / ٣ يناير ١٨١٢م .

١٩. دحلان : أحمد زيني ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، ط١، ١٣٠٥هـ ، مصر.

٢٠. دو كوراسيه : لويس الكسندر اوليفيه ، تاريخ الوهابيين منذ نشاتهم حتى عام ١٨٠٩م، ١٤٢٦هـ ، ترجمة / ابراهيم البلوي – محمد خير البقاعي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

٢١. ديدييه: شار المتوفى، رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن١٩م، تحقيق محمد البقاعي ،١٤٢٢هـ، دار الفيصل الثقافية، السعودية.

٢٢. جوان: ادوارد، مصر في القرن التاسع عشر، ط١، ١٣٤٠هـ، القاهرة، تعريب/محمد مسعود.

٢٣. ذوقان، عبيدات وآخرون (١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م) البحث العلمي مفهومه وأدواته وأسإلبه، الأردن، دار الفكر.

٢٤. الرافعي: عبدالرحمن (ت١٣٨٥هـ/١٩٦٦م)، عصر محمد علي، ط٥، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، دار المعارف، القاهرة.

٢٥. الرحيلي: سليمان، الطريق النبوية إلى بدر معالم وعبر،١٤١٩هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

٢٦. الرجبي : خليل أحمد، تاريخ الوزير محمد علي باشا، ط١، ١٤١٧هـ، دار الآفاق العربية، القاهرة، تحقيق/دانيال كريسيليوس وعبدالعزيز بدر ومحمد حسام الدين إسماعيل.

٢٧. رضا: محمد رشيد، الوهابيون والحجاز (مقالات)، ط١، ١٣٤٤هـ، مطبعة المنار، القاهرة.

٢٨. الريحاني: أمين، ملوك العرب، دارالجبل، بيروت، (د.ت).

٢٩. الزركلي: خير الدين، الأعلام، ط١، ١٣٤٧هـ-١٩٣٨م، المطبعة العربية ، القاهرة.

٣٠. آل سعود: الأمير سعود بن هذلول بن عبدالعزيز، تاريخ ملوك آل سعود، ط١، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، مطابع الرياض، الرياض.

٣١. السيد: فرج ، حروب محمد علي ، ١٩٩٩، مطبعة التوكل بالجمانية ،القاهرة.

٣٢. آل الشيخ: عبدالرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، المقامات، ١٤٢٦، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

٣٣. ال الشيخ: عبدالرحمن بن حسن، الدرر السنية في الاجوبه النجدية، ط٣ (١٤١٧)، مختصرات الرواد، جمع عبدالرحمن النجدي، الرياض.

٣٤. صبري: محمد، تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، مكتبة المدبولي، القاهرة.

٣٥. الضمدي: الحسن بن أحمد ، الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني، حققه/أ.د:إسماعيل بن محمد البشري ،١٤٢٤ ، دارة ألملك عبدالعزيز ،الرياض.

٣٦. طوسون: عمر، الجيش المصري البري والبحري، ط٣، ١٣٥٤هـ، مطبعة المستقبل، الإسكندرية.

٣٧. عباس : السيد أحمد مرسي ، العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية ،١٤١٦هـ، دار الزهراء للنشر والتوزيع ،الرياض.

٣٨. عبدالله: محمد مرسي، أمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣-١٨١٨، ج١، ١٩٧٨م، المكتب المصري الحديث، القاهرة.

٣٩. عبدالرحيم :عبدالرحيم عبدالرحمن ، الدولة السعودية الأولى ، ج١ ،ط٦ ، ١٤١٩ ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة .

٤٠. عبدالعزيز: محمد رفعت ، الجيش المصري وحروب الشام الأولى١٢٤٧-١٢٤٨هـ دراسة في ضوء وثائق عابدين، ط١، ١٩٩٩م، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة.

٤١. العبيد : محمد العلي ، النجم اللامع للنوادر جامع أخبار وأشعار من القرنين ١٣-١٤ ،مخطوط ،ج١، (د.ت)، (د.ن).

٤٢. عثمان، حسن، منهج البحث التاريخي، ط٦، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

٤٣. العثيمين: عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ط١٦، ١٤٣٢هـ، مكتبة العبيكان، الرياض.

٤٤. العجلاني: منير، تاريخ البلاد العربية السعودية الدولة السعودية الأولى، ج٣، ط٢، ١٤١٣هـ، دار الشبل، الرياض.

٤٥. العقبي : أحمد بن حسين ، التنافس الإنجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية القرن ١٣هـ-١٩م ،١٤٣٠هـ ، دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض.

٤٦. العقيقي: نجيب، المستشرقون، ط٢، ١٩٦٤م، دارالمعارف، مصر.

٤٧. أبو علية :عبدالفتاح حسن ، محاضرات في تاريخ الدول السعودية الأولى ،ط٢ ،١٤١١هـ-١٩٩١م، دار المريخ للنشر ،الرياض .

٤٨. العيدروس: محمد حسن،تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية، الكويت.

٤٩. غالب : محمد أديب ، من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي ، ط١ ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، دار إلىمامة للبحوث والترجمة ،الرياض .

٥٠. ابن غنام :الشيخ حسين، تاريخ نجد، ط٤، ١٤١٥هـ ،حققه :ناصر الدين الأسدي، دار الشروق، القاهرة.

٥١. الفاخري : محمد عمر ، تاريخ نجد ، مخطوط ٤٨ ، جامعة الملك سعود ، الرياض، (د.ت) .

٥٢. فاسيلييف: اليكسي، تاريخ العربية السعودية، ط١، ١٩٩٥م، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت.

٥٣. فلبي : سنت جون ، تاريخ نجد ، ط١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، مكتبة المدبولي ، القاهرة، تعريب/عمر الديراوي.

٥٤. الفرج: خالد بن محمد المتوفى، الخبر والعيان في تاريخ نجد، تحقيق عبدالرحمن الشقير،مكتبة العُبيكان، الرياض ٠

٥٥. فيناتي: جيوفاني، حياته ومغامراته في جزيرة العرب في عام ١٢٢٦هـ/١٨١١م، ط١، ١٤٣٣هـ، دار بلاد العرب للنشر، الرياض، ترجمه/ دار بلاد العرب للنشر، قدم/ محمد بن عبدالله آل زلفة.

٥٦. القابسي: محي الدين، المصحف والسيف، ط٤، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، دار الصحراء السعودية للنشر، الرياض.

٥٧. أبو قايد: أحلام بنت علي بن أحمد، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة، (د٠ت).

٥٨. القحطاني : فاطمة بنت حسين ، حملة إبراهيم باشا على الدرعية سقوطها ، ط١٤٣١هـ ،دارة الملك عبدالعزيز ،الرياض.

٥٩. مانجان : فليكس ، تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية ، ط١، ١٤٢٤، دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض، ترجمة /د٠٠محمد خير البقاعي.

٦٠. المحامي : محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط١١، ١٤٣٠هـ، دار النفائس، بيروت، تحقيق/إحسان حقي.

٦١. المنذري: زكي الدين عبدالعظيم، مختصر صحيح مسلم، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، المكتبة العصرية، بيروت.

٦٢. مؤلف مجهول ، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تحقيق/أحمد أبو حاكمة، ط ،١٩٦٧م ،مطابع ببيوس الحديثة، لبنان.

٦٣. مؤلف مجهول، أوراق من تاريخ نجد، ط١، ١٤٢٩هـ، تحقيق/عبدالعزيز سعود الفرهود، الدار العربية للعلوم، بيروت.

٦٤. هور خرونيه: ك. سنوك، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ج١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ترجمة/د:علي عودة الشيوخ- محمد محمود السرياني- معراج نواب مرزا.

٦٥. بن يوسف: محمد بن عبدالله، تاريخ بن يوسف، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، تحقيق/عويضة بن متيريك الجهني ، دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض.

الرقم	الفهرس	رقم الصفحة
١	الأهداء	٢
٢	ملخص الرسالة	٣
٣	المقدمة	٥
٤	التمهيد – العلاقات بين العثمانيين والسعوديين	١٢
٥	الحملات العسكرية بين العثمانيين والسعوديين عن طريق العراق	١٣
٦	الحملات العسكرية بين العثمانيين والسعوديين عن طريق بلاد الشام	١٧
٧	الحملات العسكرية بين العثمانيين والسعوديين عن طريق ولاة الحجاز	١٨
٨	الفصل الاول: أسباب المعركة – المبحث الاول: الأسباب الدينية	٢٣
٩	المبحث الثاني: الأسباب السياسية	٢٧
١٠	المبحث الثالث :الأسباب الإقتصادية	٣١
١١	الفصل الثاني: أحداث المعركة – المبحث الأول : الخطة العسكرية للجيشين	٣٦
١٢	أولا/ خطة الجيش المصري	٣٦
١٣	ثانيا/ خطة الجيش السعودي	٤٠
١٤	المبحث الثاني: موقع المعركة – نبذة تاريخية – جغرافية وادي الصفراء	٤٣
١٥	المبحث الثالث: سير المعركة	٤٦
١٦	الفصل الثالث: معركة وادي الصفراء في ميزان	٥١
١٧	المبحث الأول: أسباب نصر الجيش السعودي	٥٢
١٨	المبحث الثاني أسباب هزيمة جيش محمد علي	٥٦
١٩	المبحث الثالث: نظرة المؤرخين للمعركة	٥٩
٢٠	أولا / الجانب السعودي	٥٩
٢١	ثانيا / الجانب العثماني	٦٤
٢٢	الخاتمة	٧٥
٢٣	الخرايط والصور والوثائق	٧٨
٢٤	المصادر والمراجع	١١٠